

JAFET

1-7-1902

1
4.77
6

الاهداء



ان الروح التي هذبت شعوري باخلاصها واثقة ، وايضت
افكاري بتجنيها مرتابة ، ثم حقرت الحياة في عيني يوم جذبها الحدا
فانتقلت الى جوار ربها راضية مرضية ، الى روح اخي وصديقي
العلامة الشيخ محسن شراوة .



مجلة الابحاث الفراء مع خالص
الاحترام والتقدير من المؤلف
١٩٥٥/١١/٨ - على كبره

الجزء الاول

892.709

Z39aH

V.1

أوراق الأديب

دراسة ونقد وتوجيه نحو الأدب الخالد بروحه
وقته وصوره المتألقه وأفكاره السحرية

علي الزين

التصدير

.. كل ابناء مهنة او فن لهم حين يجتمعون حديثهم الخاص فيما يلابسونه ويمارصونه : والتجار في نوادهم الخاصة يتناجون ويستعرضون انواع التجارة الجيدة منها والردىء ، واساليب البيع والشراء ، ثم التجار انفسهم الحبير وغير الحبير والامين وغير الامين والصادق وغير الصادق .

والفلاحون في سمرهم يتحدثون عن الارض وانواعها وعن الشجر والنبات وضروها ، وعن الجبوب والاثار واقسامها ، وعن اساليب الررع والحصاد وآلاتها واطاقتها ، ثم عن الجيد والردىء والنافع والضار من هذا كله .

وكذلك الادباء والمفكرون والطاعون الى الاصلاح لا يختلف شأنهم عن شان غيرهم من الناس حين يفرغون من الدرس والمطالعة والاعمال العسكرية وينصرفون الى موضع تقفهم واكبارهم من الاصدقاء والزملاء الذين ألف بينهم الدوق والفكر والمهدف ، كل منهم يعرض

ما قد انشأ من القصص والمقالات والقصائد ، او يعلق على ما قرأه من الكتب والصحف ، او يصف بعض ما لابه من الحوادث والمظاهر والحالات النفسية والاجتماعية ، او من حالهم من العلماء والادباء والفنانين والساسة ، وكل منهم يبدي ملاحظاته وآراءه ووجهه فيها بصوته ويخطه وفيها يستعصه ويستقبه وفيها يكبره ويحتقره او يكبره ويحبه .

ولا ابالغ اذا قلت انه على مثل هذا كانت شأني فيمن نشأت بينهم من الادباء والعلماء والطالحين ، وان محالسا كانت - فيما مضى من ايام العراق وجبل عامل - عبارة عن تصوير وتجميل وقد صريح لا تشوبه شائبة من رهبة او رغبة او بحمالة حتى اذا خفا بالحد او ضاق بنا تحولنا الى ما دق من سحرية ونهكم لادع مرغ به أمص - احكامنا واعنف ملاحظتنا السلبية والايجابية ، فاذا ما تخرج الموقف وتستر الهزل والحد فيما يهنا ملنا الى الصمت والسكوت الصارخ المبين او صرفنا الكلام الى وجهة بعيدة عما نحن فيه من نزاع وخصومة .

ولا اُحال هذه المجموعة من الاوراق - على اختلاف وجهات النظر فيما تضمنته وعلى اختلاف نواحيها وملابسها - الا صدى خافت لما كانت تطفح به تلك المجالس والحلقات ، ولا احسب هذه الابحاث والاقوال المزججة الا صوراً مصغرة لما افاضه عليّ اخواني واصدقائي واخصامي من آراء وملاحظات وخواطر ، هي - ان نسب الى هذه الطبقة من الناس والى هذا الحين من الادباء - أولى وأحق منها بنسبتها الى فرد مثلي ، وهي لان تكون من وحي هذه الفترة

المتطاوله التي قضيتها بين المصح والبيت او بين الاصدقاء والاختصاص
او بين الامانة والتلامذة .. اصح واقرب الى الواقع من ان تكون
تخيلا وحقيقتها من وحي هذه الايام التي أدلف فيها دوراتي هذه الى
المطبعة واحاول ان اخرجها في كتاب .

لهذا اتى على القارئ الحبيب ان يمضي في مطالعة كتابي وتحليله
ان يقدر هذه الفترة من الزمن وينعم النظر فيها من عواصف
ومحرجات ومتناقضات كان لها اثرها في تشكيل الآراء والصور
والاساليب البياية .. لينصف هذا الجيل الشونب من لاختصاص والاصدقاء
حين يحاول ان ينسب لي شيئاً من القوة والروعة والسمو فيما
يطالعه ويتوخاه من كتابي هذا ، ان قد يكونون هم وحدهم مصدر
التوفيق والروعة والسمو في هذا كله ... ثم بعد فليبحثني وحدي
تبعاً ما يصطدم به الذوق السليم من نهات ونشوز وضعف ولا
يرفق بي حين يقع على شيء من مظاهر الأشعار والخطأ والألتواء
ان ليس من مذهبي الرفق بحد حين افق على شيء من ذلك في
آثاره الفكرية والعقيدة لان الرفق والمجاملة والتسامح في مثل هذه
امواقف والمهات انما تكون على حساب الحقيقة العميقة والادبية التي
يجب ان تحترم وتقال .

كما ابي احب وارجو هؤلاء المتخرجين في احكامهم وميولهم ان
يطمئئوا الى ان الادب في جيل عامل لم يكن فيها مضي من عهوده
يختلف اسلوبا وموضوعاً وغرضاً عن غيره من الأدب العربي النابه في
مصر والشام والعراق ... ليقال ان ما يطبق عليه من احكام النقد

وملاحظات الناقدين لا يشمل كل ما ضارعه في نوعه وفي مستواه من فنون الشعر والادب التي عاصرنه .

فالانتقاد للادب العالمي وان كان خاصاً بموضوعه فهو عام بموازينه ومقاييسه واحكامه ليس للباحث المنصف ان يستخف به وينسامح في قراءته او ينظر اليه كما ينظر الموسومون — في الادب العالمي — الى كل ما هو اقليمي وقومي من ادب ونقد وفن .

وإذا جاز ان يعتبر هذا الادب وهذا النقد من الادب الاقليمي والقومي فبغير من يعنى بادب الاشخاص ودرس آثارهم وانتقادها ان يعنى بهذا الادب الاقليمي الصادق — في تعبيره او تقليده — درساً وعرضاً وانتقاداً .

ذلك بان درس الأدب الذي يمثل الحياة الفكرية في أي اقليم لا يقل اعتباراً وفائدة عن درس الادب الذي يمثل الحياة الفكرية في أي فرد مهما يكن من شأنه ، اللهم الا اذا كان الباعث والموجب للمطالعة .. هو ضخامة العناوين او سحرها وفنونها ، لاحقائق الاشياء وصورها ومميزاتها في القوة والضعف او الروعة والسحق .. ولا البحث عن مصادرها وعناصرها واجوانها ، او تفحص عللها واحكامها ونتائجها تبجراً في المم وتعمقاً في الدرس ونهيتوا للأستنباط والاستلهام والحكم المجرد .

علي الزين

أدبنا في القرون الخوالي

المك حين تستقصي تاريخ لسانك في القرون الحالية التي تقدمت القرن الثامن عشر .. درساً وبحثاً واختصاراً لا ترى مظهر من مظاهر الادب يسر المترومين في احساسهم وشعورهم وتفكيرهم ، ذلك بان لغة الكنائس الأجنبية صرحت استعفين من العرب المسيحيين عن لغة القرآن جرياً مع روح الطائفة التي سيطرت على عواطف النساين طيلة القرون الوسطى حتى اوشك ان يقتصر الموهوبون من مسيحي لبنان على الازجال والاعايب الشعبية كزججيات المطران جبرائيل اللحمدي المشهور بابن القلاعي (١) وقوله في ختامها :

(١) نقل اسكاته ديب دى طرازي من ٧٤ من تاريخه عن لسان : ان ابن القلاعي : هو مؤرخ لطائفة ادرويه ، وليس في تاريخ لسان بين سنة ١١٠٠ وسنة ١٥٠٠ ما يد مد رحلته : وقال لعلامه اندويهي في تاريخه ان ابن القلاعي كان على حد عظيم من العداوة والهم والعيرة وكان وحيد عصره ونتيجة دهره بلغ من كل فصيلة عابذاً وقد تولى سنة ١٥١٦ م.

بشري بيوتك احترقت بشري كتبك اختنقت
كانت محصنة نشئت لأنها مملوءة طفيان

....

ثمرة يعقوب حلت فيك ويعقوب عاجز ليس بحبيك
اطردي يعقوب الساكن فيك واقتبلي البركات من هذا الآن

....

كلت وبالدموع انكتبت ومن التواريخ اتخذت
عن ستاية عام حصلت عهد مارون في جبل لبنان

....

وما يروى من قول إحدى نساء آل سيف حكام طرابلس وهي تعرض
بقصر قاعة الأمير فخر الدين أعني امام ابنته :

جونا الطوال يا نصه السكين يا سلسله امذهي يا سيف عبي الدين
جونا القصار لا شور ولا ندبير مثل الصمادع يبقعوا في قرابي البير

ومن قول ابنة الأمير فخر الدين جواباً على قول السيفية :

عبروني بقصرك قلت عود التبر والحصر حصر العرال والعق شامخ شبر
قولوا لأهل الدكا قولوا لأهل الحبر انتم يجمع الدنيا ولو كان طولو فدر

ثم رد الأمير فخر الدين نفسه على ذلك وهو داهب من دير القمر
للانتقام من آل سيف في عكا :

نحما زغار وفي عين العدو كبار انتو حشب حور نحما للخشب منشار

وحق طيباً وزمزم والنبي المختار ما بعمر كيا ديو الامن حجر عكار (١)

ثم قول القس الياس عويضة في مدح الحاقلائي احد تلامذة روميسا
اللامعين وصاحب النفوذ والاعتبار لدى الكرادلة والملوك والبابوات في
القرن السابع عشر

وشماس ابراهيم حاقلائي	مشهور بعلم الكلداني
عمو مشهور بين الناس	عند البابا والجلال
عمل غرامطيق سرياني	يورث حياة الأبدية
دائم كان مرفوع الراس	ببيوت الكردينالية (٢)

ثم هذا الذي يتناقفه الرواة من ارجال — شاعر ابن معن — ما ميسه
الملقب بالرومي كقوله :

لما اتبنا (صفد) عجننا على (جاعون)
طلبت حبزاً وكانت رفقتي جاعون
قالوا اذا رمت اكل العيش رح (ماعون)
نحن الذي طبعنا ان تمنع الماعون

...

وقوله :

رأيت محبوب قلبي في نهار الحد قد سل من مقتلنو صارم ثقيل الحد

(١) مجلة المشرق البيروتية م٠ (٣٠) ص ٨٣٩ .

(٢) المشرق أيضاً : (م ٢٨) ص ٤٣٩ :

قلت والشوق ما لو في الحش من حد تكسر جفونك وفي العالم تقيم الحد

...

وقوله :

يا منية القلب مالك تعضي مالك وحسن وجهك لأرب الهوى مالك
اقسم عن حديثه قد روى مالك إن تقبلي عبد وذلك تخسري مالك (١)

هذا وغيره مما يدل على أن أدب القوم كان لا يختلف — بلغته وخياله
وتعكيره — عن أدب الأميين وإن افتناهم بالرجل — وهو وليد لامية —
لا يقل عن افتناهم به يوم ولد : كما يبشأ ابن جلدون ص ٥٤٨ من مقدمته
حيث قال ما لفظه :

« ولما شاع من التوشيح في أهل الأندلس واحد به الجمهور لسلامته
سجت العامة من أهل الأندلس على منواله وظموا في طريقته بلغتهم الحصرية
من غير أن يلتزموا فيها أعراباً واستعدوا قسماً سموه بالرجل والتزموا
النظم فيه على مناحيهم إلى هذا العهد »

وحيث قال ص ٥٥٧ « وكان لعامة بغداد من الشعر يسمونه
المواليات ونحته فنون كثيرة منها (القوما) ونبتهم في ذلك أهل مصر
القاهرة واتوا فيها بالأعراب : ومن أعجب ما علق بجعطي قولهم :

يا حادي العيس أزجر بالمطيا زجر وقف على منزل أجباني قيس الفجر
وصبح في حيم يا من يريد الأجر ينهض يصلي على ميت قنيل المجر

...

(١) سوق المعادن لسلامة الشيخ محمد علي عز الدين .

وقولهم في ذم المشيب :

ناديتها ومشيبى قد طواني طي جودي علي بقبله بالهوى يامي
قالت وقد لي كوت داخل مؤادي كي ما هكذا القطن يحشى قم من هومي

...

وفي وصف الحشيشة :

دي حمر صرف التي عهدي بها باقي نغني عن الخمر والخمار والساقبي
قعبا ومن قعبها تعمل على احراقي خبئتها في الحشا طلت من احداقي

وغير بعيد ان تكون هذه الأمثلة السائرة من الرجال المتودجا
للادب العالي الذي كان يطمح اليه نوابغ لبنان في العهود السالفة ، اذ لا
تصادف في ما حاولوه من نظم ونثر في اللغة العصبى ما يشبه هذه الازجال
طرافة وعذوبة او يرضي ذوق استقيس ثقافة عربية صحيحة ويروى ظباهم الى
ادب سري اللفظ والمعنى والهدف .. اللهم الا اذا تلفت بسمعك وقلبك الى
هذه الآثار التي اشاعها نوابغ العالميين في العهد المغني ، بين سنة ١٦٠٠
و ١٨٠٠ م عندئذ تسمع وتبصر اعاماً وصوراً ترتفع بشعورك واحساسك
وذوقك عن مستوى هذه العامة الشائعة في الادب اللبناني

وتتفلك الى جوف ذي يدنو بقلبك ووجدانك من الادب العباسي الاصيل
في فصاحة لغته وصفاء خياله وصدق احساسه ونس مقاصده ولا يشعرك بشيء
من التقصير الا بابه ادب علماء وفقهاء ورؤساء دين . شغلهم النظر في
الموضوعات العلمية والدينية عن التجرد للادب واعتباره غاية رئيسية يصح
الانقطاع لها كما كانوا ينقطعون للتصنيف والتأليف والنظر في مشاكل العلم

والدين والحياة الاجتماعية ، وهم في ذلك لا يحتفون عن بقية النوابع من علمائنا وفقهائنا الاولين الذين مارسوا الادب هواية وترويضاً عن انفسهم ، او استجابة لداعي الضرورة في حالة من الحالات العصبية :

وايضاً هذه المراغم والتكيد لها اتقدم من القارىء الكريم بنموذج من آثارهم الادبية في العهد المعني واكفى من ذلك بقول العلامة الشيخ حسن زين الدين صاحب كتاب المعالم (١)

ويعجباً مني وما إن ارى	تعجبني مني يجدينني
اطيع نفسي ان دعيتني الى	امر به تؤذى وتؤذيني
وحيث ادعوها الى مطلب	تنجو به حقاً وتنجيني
تلقي دعائها على عثره	بأي اعراض وتعصبي (٢)
فمن عذيري او شفيعي اذا	ناديتها يوماً تمنييني
ومن معيّر لي معاً ما	اعتاض عن نفسي وسكفيني

وقوله ساحراً من نفسه او قائماً عليها

قد كنت احسب نفسي من ما رحلوا مبرّأً وبجّه من فسوة الناس
ومن بقائي وقد كانوا يبيتن لي انا سواء وابي مشهم قاضي

• • •

(١) هو من اداء القرن العشر المحمري وله ديوان شعر محصو على ما جاء في كتاب (الدر المنثور)

(٢) العثر بكسر العين وسكون الشين على وزن حس : وهو ان ترعى الابل نساء ايام ثم ترد في اليوم العاشر : وعلى ذلك يكون معنى البيت : تلقي نفسي دعائي لها على طوله والملاحه واجباهه - بعراض شديد وتعصي امري :

ثم بقول الشيخ مجيب الدين الحلي (١)

لي نفس اشكو الى الله منها هي اصل لكل ما اذ فيه
 محيى الحلال لا يرتضي وبيع الحلال لا ترصيه
 ما ربا اوداك جميعاً في حصوم من عاقل وسفيه

وقوله :

امرء لا يسم من حادٍ او شامت في البسر والعسر
 هو ز الحابن لا بد ان يحقه شيء من اشر

ثم بقول الشيخ زين الدين (٢)

الى كم مقاساه اسوى والوان وتغليق نفسي لالاماني الكوادب
 وكمد اعاني لوعة بعد لوعة واصحب من هذا الوري غير صاحب
 لقد شئت اصاؤنا السير والمرى وكلت عن الشكوى منون البجائب
 وكنت حمل الدل غسلاً بيةً ترى دون ما حمت ضرب القواصب

(١) هو من دواء لمرض الخدي عشر وقد توفي سنة ١٠٥٠ هـ راجع ترجمته في
 - لاهوت العسر - وامن الآمن - وحلته اثر

(٢) هو من ادواء لمرض الخدي عشر وحيد الشرح حسن زين الدين صاحب المعالم
 وقد توفي سنة ١٠٦٤ هـ راجع ترجمته في كتاب الدر المنثور ، وفي اعراف م ٣٨
 من ٩٩٩ ثم في حلالة الآثار

وحللت عرى صوري الخيال واصبحت
واصب ما التقى من الدهر هيتن
سوى سطوات البين شئت بينه
غداة افترقنا والجفون قريحة
وصحي وقوف ارداع كأنما
هل لكئيب شئت البين شئت
بشير بطيب الوصل يحى بقربه
فيا برق بم سمع لسان ناشدا
وقل لهم ذاك الكئيب الذي نأى
مشوق ولولا ما جى الدهر لم يكن
يحن اذا ما شام بالشام نارقاً

وبوع اصطباري مقفرات الجوانب
وان عد كل من جليل المطالب
ونكديره من كل ورد مشاربي
وليل النوى والبين مرخي دوائب
بودع كل منهم غير آيب
وابعد عن صحبه والافارب
صريعاً رماه البين عن قوس صائب
لقلبي الملقى بين بك الملاعب
على دغمة عن حكم غير واغب
الى غيركم يهوي عان الركائب
فيصبو ولا يصبو الى قول لاعب

ثم قول الشيخ محمد محمود المشعري (١)

.. ولم أر مثل العيد اعصى على الهوى
ومن شيمي والصبر مني شية
وقور على بأس الهوى ورجائه
خليلي مالي كلها ه نارق
طوى اله اسباب المودة بيننا
ولا مثل قلبي للصبابة اطونا
متى ارم اطلاقاً بعيني تدمعا
فما اتحسنى الهم الا تجرعا
تكاد حصاة القلب ان تتصدعا
فلم يبق في قوس التصبر متزعا

(١) هو من
والشعر المنسل الى
القرن الحادي عشر وفد توفي سنة ١٠٩٠ هـ راجع ترجمته
في سلافة العصر بين ٣٢٣ - ٣٥٥ . ثم خلاصة الاثر :

ي الله كم اعصي المحبون على القدي
الا حيدذا الطيف الذي قصر الدجا
الم كحسو الطير صادف منهلا
واصلته ليجعل حتى اذا رمى
فسمت صمايا الود بيني وبينه
وحررت بياد القلب اصحاب به

واطوي على القلب الصلوع توحما
وان كان لا يلقاك الا مودعا
فارعبه داعي الصباح فاسرعا
بسطت له جبل الهوى فتورعا
سواء ولكنني حفظت وضعا
فله قلبي ما ارق واجزعا

الادب وتطوره في جبل عامل

«عنى شاطيء هذا الأديس وأمام محد التاريخ المائس في أنقاض صيدا
وصور القديتين نهضت بقعة صغيرة مفردة من بقاع الشام قد بصرها الله
كأماً متماسكة نسامي على العلاه رويداً رويداً كما أعمست في الانعقاد
عن الشاطيء نحو مطمع الشمس ، تلك دبي جبال عامية التي يعرفها الناس
باسم جبل عامل .»

وجبل عامل هذا العربي الحريج في سبب (١) والشيعي القديم في ولائه
لأنه بيت الرسول (٢) لم يكن له في ماضي وجود سياسي مستقر حتى في
العهد الاقطاعية ليكون له من ذلك تاريخ مستقيم الحدود عالي ادعائهم
يجوز للعهد بوجدانه من ان يعول عليه ويلتمس الى محواه وانما كل ما
يمكننا ان نخرج به من الولاية في ذلك العهد لاطاعي المطم ان ساسته
استطاعوا أثناء هذه الفوضى أن يدافعوا عن كياناتهم في كثير من المواقف
السلوية مما يأت لهم من تنظيم روح السعة والحمية في أدبهم وتطعيمهم المضطهدين
او ان ينقدوا بلادهم واعسهم واعراضهم من خطر النهب والقتل وما الى
ذلك من انواع العنف والتدمير ؛

أما ان ساسته استطاعوا ان يسيطروا على ما حولهم من البلاد

(١) دراسة أعدت مقدمة كتاب علائح الادبية في جبل عامل سنة ١٩٣٨

(٢) راجع كتاب مع لتاريخ العامي من ٣٤ - ٥٩

والمقاطعات المناهضة لهم . او حاولوا ان يعرضوا ارادتهم على من سواهم من الحكام والجبّان كما كان يفعل ارباب الخول والطول من المنسفين والشهابيين والحرافيش والارباب المشهودك شيء لم يكن له في تاريخهم اثر يذكر (٣) او شاهد يؤثر من اربابهم معدودة ومواقفهم المشهودة والا لما تخنوا — في غفوان يقطنهم وشاظمهم — عن جزئ وهي قاعدة بلادهم العمية : ولا عن قراها ولا عن قراه العامرة اشرفة وهي موضعها الجعراش بشكل خط الدفاع المحكم عن حدود بلادهم المروفة من قبل الحكام الظالمين في اذلالتها واستلاكها ؛

ولكن التاريخ العالمي المجيد الذي بحق لنا أن نعاشر به وأن نطاول حواضر البلاد السورة والعربية أجمع في تلك الفترة التي تخف بها كل علم وأدب واضوت كل ثقافة وحاصرة في دسب العرب والاسلام هو تاريخهم العلمي والادبي الحاضر بروائع الاخيرة والافكار والاساليب البايية كما يبدو للساحت والمعن في آثارهم العلمية والادبية :

بمجل الحالة الأدبية قبل الجزار

وبدا كان من الصف على الساحتين اليوم تقوم هذا التاريخ وتوصيح حدوده ومعاهه بغير أن يوزعوا محراه وبقسوا فصوله الى عهدين ، العهد الذي تقدم حملة احمد باشا الجزار سنة ١١٩٥ هـ و ١٧٨٠ م والعهد الذي تلاها واستمر الى هذه الساعة . فان العهد الذي تقدم حملة الجزار لا يمكننا التسوسع في تفصيل ادواره وتحديد شخصياته (٣) راجع تاريخ الامير محمد بن العربي شبيب الصعدي وتاريخ الشهابية شبيب الامير حيدر احمد الشهابي وحطه الشام محمد كرد علي :

وطبقانه كما يجب لبعده العهد وقلة المصادر واندثار الكتب
 العامية في زرع تلك الغارة الشؤومة الا ما ندر من الكتب
 اني ملمت من الثهب ونعدت جيل عامل في عصرها الى غيره
 من السدان كمنفعة ، والمداراة ، والمكاسب ، والمعلم ، والوسائل
 وادب المعيد والمستعيد ، وامل الآمل ، والحلاصة ، والصدية ،
 ولكشكول ، والحلاصة ، وما ابيها من هائس علمية وادبية لا
 تزال اى يومنا هذا نعتز من اوثق المصادر واعذب الموارد لطلاب العلم
 والادب في مدارس الشيعة وفي سائر معاهدها العلمية على اختلاف
 اللغات وتنوع الامصار والبلدان .

الأنفوذج

وقد يكون في هذا الانفوذج من وصف قلعة الشقيف للشيخ
 ابراهيم الحارثي

ما الشقيف الصلابة الاجرة	ولما قصر باعلاه استنار
ليس يدنو منه في حسن البناء	قصر عمدان ولا عظم الجدار
تتظر المرأة فيه وترى	هوفك الهير تراءى في الخدار
ما رأينا قبل هذا جدولا	ورق قصر شامع في الجو طار
ريسة الدنيا على أرجائه	تزدهي في كل بحر كالقنار
نقشها مختلف مؤنث	في ابيضاض واحمرار واخضرار

وفي هذه الصورة الحماسية من معارضة الشيخ حسن سليمان المتوفي عام
 ١١٨٤ هـ ، للشيخ عبد الحليم النابلسي في قصيدة مطلعها :

سبقت فما شق القبي غبارها وست فما بلغ البليغ مدارها

وهي بما ينتقد به العمليين ويؤسره (١) لاستمرارهم على مقاومة طاهر
العمر والصفدية في ضراحي حركة توبيخ : بين ١١٧٩ - ١١٨١ هـ :
يورد عليه شاعرا العامية هذه الصيغة (٢)

عني اليك هل بلغت مزارها وح في طلب الوصال مدارها
وأست لحظك في رياض جناها وقتفت فيما تدعي ارهاها
أنى تفوز بها وقد ضربت على هم شهوة سرها
أمن الثريا والسماك من الثرى ان كنت من يستين مدارها
دع عنك يا مغرور نخرة مدّع لا يهتدي ابد الزمان مدارها
لا تبلفن بك الحية ملغنا لا يوتدي أهله الا عارها
هي عزة لمن اهتدى ومذلة لمن اعتدى متعبلا اوزارها
كم حر كد قدما عية مش ذا يوم القيامة نارها
ما أنت والتعريض بالنفر الاولى اسي كعب شعرها ودرها
من كل شريب النجيع واشوس ز ا ع ع ع
سل يوم طريخا وهدمهم الردى وحرب ا ا ا ا ا
هل كان غيرهم عجب سنانه .. ح و ا ا ا ا ا
حتى أصابوا الخيال ثمة مقنا وحلم أبدا الزمان شذرها
وسكنهم رعا عن اغفاركم تطلبون من الربى اوكارها
ما خلقت الا ان املاك السماء كانت كها كها ا ا ا
في فيلق لا يستقر حمية .. حتى يبيد من العدى نجارها

(١) المرادي في كتاب سلك الدرر ١٠٢ ص ١٥٦ (٢) اعجاب شيعه ٢١

في كل ملحمة يخوض غمارها
لا يوعوي حتى يسد عوارها

لا يبتغي إلا الصودام عصاة
من كل مقول السواعد أئوس

...

ما سامها إلا هم واختارها
صبر لودة د حيت دمارها
بهجاء قوم لا تشق غبارها

اقسمت لو أن النية سلعة
لو كنت تفقه ما أقول منعتني
لا ألفينك ما حيت معرضا

ثم في عهد المثل من حين "شبر" ارحم بحبي الى عاملة - وهذا
طوح به الخوف من ذلك حار - الى دمشق :

والعيش بين متى وبين فتاة
بين الجبال الشم والمضبات
أحنى مسن الآباء والامات
والورد صاف والزمان موافي
والوجه عين حياً وعين حياة
ان الكرام رحبة الساحات
حشد المحيط عليك بالقنرات
اهدى اليك البدر في الطلمات
نجا بوع ... ان لحي
نشأت مع الآرام في القلاوات
مصقولة الجنبات كالمرآة
لو كان تنقع غلتي لهفاتي
... ب ... ب ... ب ...
ترك النير مخافة الهلكات

من لي برد موامع اللذات
ورجوع أيام مضين بمامل
والشمل مجتمع واخوان العفا
والروض أفيح والجذاب بمنع
إذ لا ترى إلا كريبا كعه
بحال المدح الرحيب مبرود
او عالما حراً اذا خضعفته
... و ... و ...
او شاء ... ر ...
يأتي بكل غريبة وحشية
وحجوع ...
لهفي عى تلك الديار وأهلها
خطب دعائي للتفروج مع الحمى
وتركنه خوف الموان وربما

قد يكون في هذا الشعر و: دواوين هؤلاء الشعراء وديوان
عبد المحسن المصري ، والكشكوش ، وإخلاص ، وميسرة الأدب ،
والدر المنثور أو في ورد في كتب سلافة الشعر ، من آثار بعض
أدبائهم وتواجه بعض علمائهم مما يكفي لتستبين أديبهم وثقافتهم في
العصور الحالية

وخصوصاً إذا دعه البعض في درس هذه الآيات

أو شاعر درب أمدان بحاله قد توغى في أرمغان العاني
بني لكل عروسة وحانية شئت مع الأرام في القنات
ويصوغ كل بدعة حصر ، يحفره أخذات كالمراة

فإن فيها ما قد يعسا عن كثير من المشاهد والتخصص في
المعرف أي أهداف الشعر ومذبح الذين سدهم

ذلك بخبره عن الشرح والمصير من الإشارة إلى هذه
الآثار القيمة وأي ما ينبغي من المدارس في مواحي القوي
العامية ، فهي خير شاهد على ما كان عالميين من أسير عالمي
وإدبي أو على مدار نفوسهم (مع صحت حافة الاقتصادية والسياسية
السياسي) في ذلك العهد القاتم ، ولا مصادقة كتاب وامل
الآمل في علماء جيل عامل ، مع رباب ، وبه يندد هناك من
علمائهم وهؤلاءهم أي عهد المؤلف بريد الماري استعدوا بعضة
جهود العلماء الأول وساع ثروتهم الفكرية وخصوصاً في العلوم
الدينية .

الادوار الثلاثة

وأما العهد الذي يتى حمة الجرار فهو العهد ادي يملك ادا
مدرحت مع نزيح اديهم وسمعت مظاهر الحركة الفكرية في هـ.د.هـ
الحقة منه ، ان تقسم حية الادب فيه الى ثلاثة ادوار : دور
الاحياء والبعث ، دور التطور والاستقال ، دور التجديد والتعرف
الفني .

دور الاحياء والبعث

عندما استيقظ العالميون من عشيّتهم على اثر تلك الصدمة العنيفة وما قد تبعها من ديون مريعة ورأوا ما اصاب جامعتهم من شتات وما نزل بساحتهم من بلاء وحق بهم من ضعف وفقر ، وما منوا به من فقد علمائهم وادبايهم وقادتهم ميّاً وقتلاً وتشريداً ، ومن الدثار مكابهم ولاشيّ آخرهم حرقاً وهباً وبداعياً بيد البني ، راعهم خطر الموقف وهذا بعد الشقة ، حين حاصرهم ومصيهم فتوالت بذلك بقايا العواصف لمكونة جرحاً وحوماً وشطاء القلوب المتقددة عبرة وحمية ، وهبّ الجميع يعملون على توحيد الشمل ، ورأب الصدع ، وتزميم ما درس من اطلال ، واحياء ما سلف من عهود علمية وادبية ، وكان هذا الانجاء صداداً في بعد وثره في تأسيس مدرسة الكوثنية ثم مدرسة جبيع ثم مدرسة حويزة ثم مدرسة بس جيل ثم مدرسة النبطية ثم مدارس ، نصار ، وثقراء ، وعيّن . وكان لهذه المدارس مع تعاقب الرحلات العلمية الى النجف وتأثر المهاجرين منهم بالثقافة النجفية والآداب العراقية ، سائجها اليه في توجيهه

الافكار نحو الحياة العلمية وعملها المؤثر في احياء الروح الادبية
 وتوطيد الاسس لهذه النهضة الماركة التي قام بها اولئك الامة
 من ابناء هذا الدور وعلماء ذلك الجيل كالشيخ علي ريدان والشيخ
 ابراهيم صادق ، والشيخ عبيد الله والشيخ عبد الله بعة ، والشيخ
 محمد علي عز الدين ، والشيخ موسى شرارة ، والسيد محمد علي ابراهيم ،
 والسيد علي محمود الامين ، والسيد يحيى فضل ، والسيد جواد مرتضى ،
 والسيد حسن يوسف ، والشيخ محمد سليمان ، والشيخ محمد حسين
 شمس الدين ، والشيخ موسى معية ، ممن دفعوا لواء النهضة العلمية
 والادبية في هذه البلاد وحيوا عهداً زاهراً بعدوا فيه عن العوامل
 الهدامة التي اوشكت ان تجتاح الامة والعلوم والآداب العربية في
 مثل بيئتهم وطروفيهم . ولو انه تولى لهم ما قد تسنى لغيرهم في
 هذا العصر من الانصال مثل معاهد اليسوعيين ولا يركن والانتماع
 من مطابعهم ومكتباتهم وتنوع ثقافتهم الى غير ذلك مما يعزى انطامح
 العلمية والفنية اكان لهم في عالم النهضة الفكرية والادبية اثر غير هذا
 الاثر وشأن غير هذا الشأن . وبرهات على صحة هذا الزعم نبوع
 السيدة زينب فواز العاملة صاحبة كتاب اندر المشرق ورواية حسن
 العواقب عندما ذهبت الى مصر وانصلت بمثل هذه البيئات العلمية .
 ثم نبوع حسن كامل صباح مؤخر في دنيا العلم والاختراع عندما
 نبأ له من معاهد اميركا ومحتوانها ما ساعده على تحقيق احلامه
 واختراعاته .

مميزات الادب في هذا الدور

اما ما يمتاز به الشعر في هذا الدور فذلك ان كانت جل هم الشاعر وجل هم الاديب ان يسوا في براعة الاستهلال وحسن التحليل وبيان العرض مع لاعبه برصه التركيب ووجاهة اللفظ وفصاحة البيان ومصنف النابغين من شعراء العراق في القرنين المتأخرين كاللوري ، والحلي ، والجبوري ، او الى مستوى الفحول الاول من شعراء الجاهليين والامويين والعباسيين ، ثم ان يقتفي اثرهم في اوضاع اشعرية ويريد خلفهم في الموصوعات التي كانوا يتداولونها من مدح وردة وغزل وسب وما اشبه ذلك مع من غير قبيل الى السابعة في الوصف والاعراب في الخيال الى تكلف الصياغة في السب واصطناع التهويل في الرثاء وقد قد يعلو واحدهم في المحافظة على كل حاحه من خصائص الادب القديم فيوثاق بصحة ما يخالفه من اسلوب و خيال او حقيقة او محار لفظي او معنوي كل ذلك حرصاً على تمثيل المعصية البدوية بدروع ما كانت عليه وطهرت به في سالف تصورها وردها ايها : وفي النصوص الباقية من شعرهم ومن كتبهم ، عارضة والتشهير والتخسيس ثم طرائقهم في الجدل والمناظرة والنقد : ، وقد يوضح رسمي ويقرب طني الى مستوى القطع :

ابلق عوامل القليد

ورث كان من قوى الارعت على انرام هذه الحطاط القليدية
ان اصحاب الكف والوعب المديهم م ينهيا هم ان ينحدوا
الشعر والادب سسها و يعرفو بها ان المار صيع القمية العبيدة
عن سعتار العرف والنفاد ، واثره ، ونكروا عما يشوهه على
اوكرهم وعراضهم ويخصو فاني م فقهه ويبهره ، ونبه كانوا
مصطرين على اذروف الدياسية والاميد الشوي الى مراعاة اشاع
والألوف من فكره وسرف وساب . ثم الى حصل الشعر والادب
وسبة تحقيق اعراضهم لاسيما واداة مصنفه . ساء حاجتهم
الضرورة او ربح السؤويه عنهم في خدمت واماسات والجهودات
الوقية .

الحصائص المذهبية في شعرهم

ثم اذا كان هناك ما يبرهم عن عرهم من اداء سوريا ولبنان
في هذا ادور فهو نثرهم الى حد بعيد بكل ما له صفة وثيقة
بباريخ المذهب الشيعي ، د فاما نجد لهم مجموعة ادبية او ديوان شعر
قد خلا من وحي العواصف الشيعية المخدمه ، عواطف الحب لآل
بيت الرسول او عواطف الحزن والراء لم يهم من حيف وطعم ،
او عواطف اسماة والثورة على معصي حقهم ومصطهديهم من

الساسة مع ربحي الاستدلال على جواب خصائصهم المذهبية وعلى
خطأ محققهم . وانه وان يكن في هذا شيء من التقيد لشعراء
الشيعة الاولين كالكسيت ودعل واي ثناء وان الرومي ، واي فراس
اقداني والرحبي وصفي - وغيرهم ، فلا شك في انه كان يمثل
اصدق عاطفه منهم وادنى عقيدة في عوسهم . ولعل اصح نموذج لهذا
الادب ديوان الشيخ ابراهيم صادق والقصيدة العذيرة للشيخ محمد حسين
شمس الدين .

. . .

وعلى اي حال يمكننا - بهذا لحاظ وبهذا القياس - ان
نقول ان شعراء المتقدمين قد ادروا رسالتهم بحكمة الاصول
متنوعة المروج واحدوا بمحبة الاولى من احياء الادب العربي
القديم والاحفاظ بمذاهبه وساليبه وحماه البدوي التليد . ولعل اصدق
نموذج لادبهم وشعرهم هذه القطعة من شعر الشيخ محمد حسين
شمس الدين :

على الدار من مهي بددي الاثل ملوا
وهل نطق العجباء او تكلم
فموا نحايها وليلا اعطني اداوي الحشام من زهرة تنضم
دعوني اجيل الضرف في عرصاتها قنطرة وفي آياتها اوسم
اشدها عنهم متى عنك فوضوا وفي اي واد بعداء اليوم خيموا
وشعت على الاكوار حمى من الطوى
سروا بخرطوط السير والليل مبهم

خفاف على الاقناب إلا حلومهم وان وقتلهم حمة السير هوتموا
 يصتون في انيل البهم قلائصا لها من ذمير الير ورد ومعلم
 اذا ركبوا طارت بهم عزمانهم وان فارغوا فالحمد كسب ومنم
 مداويد لا نهفو لروع حومهم وان عزموا يوماً على الروع صموا
 وكل له في دروة النجم غايمة على انهم في طمة اليل انجم
 يمتح عن اجفانه سنة الكرى ويمضي على العلات والناس نوم

حالة النثر الفني

وأما النثر الفني فقد كان ضعيفاً منخلاً يسهب في العبارة ولا
 يعصع، ويحمل في الاشارة ولا يبين، ويكثر من الجمل المتوادة
 والاستطرادات البعيدة بدون نظام ولغير مناسبة قوية، ما سلا
 الحرص على رص الالفاظ والاستعاضة من معاني البديع، وما خلا
 المبالغة في الوصف والتهويل في الادعاء والاسهاب بما لا يمثل شعور
 الكتاب وآراء المشئين، وانما يمثل تكلفهم او تمقهم ورغبتهم في
 ارضاء مخاطبين وتقليد المتقدمين كما يبدو من بعض الرسائل المخطوطة
 ومن كتاب (الجوهر المجرد) للشيخ علي السيدي في شرح قصيدة علي
 بك الاسعد ومن حطة الشيخ محمد علي حاتون في تأييد الرعيم حمد
 البك. ولعل الاغراق في السجع والكلف والجناس والطباق الى غير
 ذلك من الزخارف البديعية اظهر بميزات هذا النثر.

واليك هذه الجمة للاديب الفاضل الشيخ عبي سبيتي من مقدمة كتابه في شرح قصيدة الوعيم لرومي ابيه نودجا لغيرهم :

...

« ان الادب مها حدث دره ، وبت شفاوه ، وسدلت امتاره ،
حتى تشابه ليد وياهه ، في زان عمداً قد رفع مساره ، وجل اعتباره ،
وحدث آثاره ، ومدحت ستماره وكنت اقاربه ، ونعالى مقداره ، سيما
ان شفع بانوارح بكاته ، ومزجت بعبير اشارته ، ووشحت بالوقائع
فقرانه ، ورصفت بالمراند أبيانه ، وولعرايب اشاته ، ونحلت بالعقود
المطرومة لبثته ، ولذبح حاولت منه ابرار بدره وكشف سجايف
حدره ، فأراني كالفرخ يروم نهوضاً فيقع ، او كالكبير يشتد لحاقاً
فيرجع ، فأغضي عيني ارقصاً ، وأخرج ريتي اغتصاباً ، وكلم مسودة
طرحتها من تمرير المتاعث ، ومريدة سدها بد بين الحث ، وجوهرة
جانبها شائبة الصامت ، حتى عمت كفي بالمر النضيد والعقد المريد
والجوهر لمطوم بسلك القصيد ، الكلمة التي كادت ان تكون معجزة
الايام وكثر الحصر للايتام ، لا حرم ان نطها ملك الفصاحة فأعنتها ،
وجمع مكارم المحامد فأصقها ، فدا تور سيبها أرق من سيم الصبا ،
وألين من مطور زهر الربا ، وادكى أرجاء من فيصوم القطيف ،
وابعد مراماً من دعوى الشريف ، حتى اذا برقت بالافتخار رواعدها ،
وتعالت دلايام الغابرة جداندها ، امطرت الثنن ورعت ، واثمت
السيوف والهران قصعت ، فأنت فيها ما بين روض اريض ، ورهر
غضيض ، ومنعة صياص وشدة دلاص ، وان حدثت عما مضى جاءت

بالبحرول تهدر ، والاسود تكشر ، والسهرى يمور والهدي يصور ،
والبارود يبرد ، والنار تروق ، والفرسان ندعي والشعبات تنكي
وبواد الحين مخطر ، وواتر الشوس تقطر بيا انب في غن ناعم
وطير ناعم ورذاذ ساجم »

....

هل ترى فيها من اثر البيان غير ما تراه من كلف بالزخرف
واغراق في المبالغة يوقف القارىء الحصيف موقف الشك بصحة المعنى
وصدق الوصف ، ولا سيما اذا انعم النظر في اصل القصيدة المشروحة
وعرف ان المختار منها لا يسو كثيراً عما تتضمنه قصص الزير
وتعريية بي هلال من شعر ركيك الاسلوب سطحي المعنى لا يدل
على اكثر من كونه صاحب سامية في فطرته بسيطاً في معارفه متأخراً
في نظمه عن درجة اولئك المعاصرين له من نوابغ الطائفة وشعرائها
كما يبدو لك من هذه القصيدة اذاعة اذكر :

حالة التأليف

واما التأليف فانه فلما كان يتعدى الجمع بدون نظام ولا تبويب ولا
موازنة كما ترى في كتاب سوق المعادن للشيخ محمد علي عز الدين ،
او تلخيص المطولات كما يبدو من منظومة الشيخ موسى شراره في
اصول الفقه ، او شرح المتون كما تجد في كتاب مقصد الطالب في
شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد سلمان الزين .

دور التطور والانتقال

م كن هناك من ميس الحرية الرأي والشعور الشخصي او
لسمب على المصطلحات العرفية والاعتادات ارجعية بناء تحكم الفوضى
وقرد الحكم لاوتاعي وما شكك في البلاد العامة ، وقد سادت
مع العصب الاعى روح الارستقراطية الفتنة في كن صبقة من الطبقات ،
لم يكن هناك شيء من ذلك لوأحد اولئك العلماء والادباء اذا ما
وهبت أفكارهم وفرائدهم سد اساليب المتقدمين في التفكير او في
التعبير عن العواطف اني كانت نسفهم ونحوك الستهم في القول
واذا هم اقتصروا في الشعر على المدح والثناء والتمغزة والزهة او ما
شبه ذلك من الاعراض . او لم يكن لاستقرار في الرأي والعاطفة
- يومئذ - والتسامي في النظر والحس الداني الى ما وراء المأثور
من اقوال واساليب وموضوعات وتقالييد مرعية اشبه بالجنون المطلق
او بالخروج على كل نظام وعرف هو وجأ يستوجب الهزء والسخرية من
صاحبه او بقضي عليه بالحرقان من كن كن محترم في الحياة الاجتماعية ؟
فإذا اصفا الى ذلك كله ما كان من تقصص الثقافة العامة وانعزال

الطوائف والبلاد بعضها عن بعض بسبب العرصى في النظام ، وتضعف
الامن ، وعسر المواصلات ، فهل يحترق شك في ان اول باعث على
التطور والتعدد كان بلسيغته حزنٌ للهمم ومطلقةٌ للحس والشعور
والارادة اذانية ، هو تضعف الحكم الاقتصادي ، وتعديل النظام
الاداري ، وتيسير المواصلات ، مما يهد السبل لحرية والامن وفتح
الباب على مصراعيه لاحتياط الناس بامس وللاصلاح على ما وراء
المخطوطات من عوائد فكرية ومناح اجتماعية ومظاهر طبيعية .. حتى
جاز لكل متفائل حر الصير ان يتمثل بقول الشيبني :

مضى زمان هو كالحق به انه وفول الائمة حتى مفترضى
واليوم هذا قولنا فمن نرى وهذه العاطف ممن اعترض

العامل الثاني على التطور

ذلك - في عتقادي - هو العامل الاول على التوسع في العصر
والقديم في البحث نحو الحديد ، أما العامل الثاني فقد بدت صلاته
تنتشر بانتشار الصحف العلمية والادبية كالمجلة لاف ، ودهلان ، والمهر ،
وما شاكلها نزعاً ومجة من الوثائق الخدمية بين ايدي الطلاب
والادباء ، العالميين ، ثم ما زال اثر ذلك ينمو ويشتد في اصقاع
القلوب الحساسة بعض التوسع في البحث والاقبال على اطلاله الى
ان اخذت الحماسة للتجديد والاصلاح بيد الحاح على الرئيس مأخذها

للعمل على اصدار مجلة العرفان ونمحيص امتياز قانوني باسمه من
 الحكومة اعطية سنة ١٩٠٩ م . ثم تولى تحريرها بجد الاكبر الاستاذ
 الشيخ احمد عارف اريز ، وآزره في ذلك العمل الحبيب الاستاذان
 الكبيران الشيخ احمد رضا والشيخ سليمان طاهر مؤازرة ببيعة ،
 وكان لهذه العوامل المجتمعة وهذه الجهود المضاعفة ، وهؤلاء الاقطاب
 الناهيين - مع من زثر بنوئتهم على نحو من الموافقة كالشيخ اسد الله
 صفاء والشيخ محمد علي حوماني ، او على نحو من العناية كالعلامة
 الشيخ عبد الحليم صادق والعلامة السيد عبد الحليم شرف الدين
 - اكبر الاثر في تطور الحركة الفكرية هذا التطور السريع وفي
 ترويح الدعوة الى التعديل في الادب والتحرر من يور التقيد في
 التفكير والعمل ، وان ظل هؤلاء اسادة - بموجب الثقافة والنشأة
 الاولى ، وكم الاعتبارات واخرى الاقلية الصاعدة - محافظين
 على جانب من اماليب التحصيل والتفكير والتعبير القدية ثم يستدعيها
 ان يتعدوا من ار اشغوليات وحكم العبارات المأثورة في عهد
 الشباب على ما تداولوه ، تصبهم ويثوهم من موضوعات جديدة
 وعلى ما استدلوا به من ملاحظات وآراء طريفة - فهي ما افكروا
 في التعبير عن امكارهم المستوحاة من صميم الحياة العصرية يتوجهون
 في تركيز اساليبهم وجملتهم وفي ارتاع تشابيههم وامثلهم واستعاراتهم
 الى الماضي البعيد اكثر مما يتوجهون في ذلك الى الحاضر القريب .
 وربما كان الحوماني في نزغته الاخيرة امرب ابناء هـ هذه الالبقة الى
 الحديد واشدهم حرصاً على تحقيق اغراضه ونزغته .

ما يمتاز به لادب في هذا الدور

أما الشعر فهو كثر أولئك المحصرين الذين شوا على ممارسة القديم من علوم اللغة وآدابها ودرجوا على احتواء الأوصاف المألوفة والتقاليد السبعة ، ثم أثروا بعد ذلك حديد من الأفكار والمواضيع وبالطريف من الأساليب والصور البلاغية الخاصة من زخرف الديع وفضول المعط هذا يبدو وعليه روع الدبب بأصابعه وقوائله وطرائفه الجديد في موضوعه وأغراضه يزخر بكل ما يحمله على احتوائه وتقديره من حكمة لينة ورأي سديد وقول فص .

ثم هو في المسامات أدوية والوصفات القديمة كالمدح والثناء والسب وما أشبه ذلك لا يلف عن شعر المتقدمين في جردالة المعط ومحاماة المعنى ، ولا التزام بكل ما أثاروا به من تمهيد الملهيات والتخلص إلى العرض ثم إلى المنة مع مراعاة بعض المعاني والجزر التقليدية ، وفي ديوانه بحيرة ، شيخ سبيل طاهر وديوان الجرداني النماذج المتعددة لهذا الشعر .

وأما في السيامة والوصف ونصير بعض الظروف والحالات الاجتماعية فيكاد يكون عاماً مستقلاً يمشي الشخصية الأدبية والباسية والمكرية هذه الصيغة المحصورة صدق تمثيل ما ينبغي فيه من حر البيان وصدق الوصف وسداد المصنع كما ترى في قصيدة الشيخ سليمان : إلى ولسن ، وقصيدته في وصف الربيع ، وقصيدة العلامة الشيخ عبد الحسين الصادق في وصف السيارة ، ولئن صغى سلطان الفكر

على العاطفة في أكثر هذه القصائد فذلك لان الموقف موقف ازان
ونمكير واعتبار لا موقف بدله وهيام وبث وخصوصاً من الشيوخ .

نموذج من شعر الشيخ عبد الحسين صادق في وصف السيارة

مالنا سائق لرواحن قدم	مركبناه زائراً زار صيغم
مضى فاطوى العشاء بدعط	فحططنا الرحال فالركب خيم
أمن الرافلات هـ سداً فيق	أم من العاديات ضبحاً مطهم
أم من المنشآت غيماً ركام	بن حبيب سائق الرعد زمزم
أم هو الآلة التي لسيما	ن أفلت ضواء جيش عرمم
شربه لشرق ادمعة العرب	فأبدته متفر الصنع محكم
ان يطر حاويز الأثير رويأ	وعى النهر للمهرة حوم
مركب لا كفلك نوح ومهد	لا كعهد المسيح عيسى بن مريم
مرقيه يطوي المراسل فيه	وهو منه معرّس في مخيم
وبلطف من هره وحدها	يدهل اللطلع عن لناه فيعظم
وبه لبلبل رحيم غداه	كما جس بالبنان ترم
فهو لسكر والعنى والملاهي	يجلس حافل وعير محرم
فهو يحيى ان عفة هواه	لا كعاصي القضاة يحيى ابن اكرم
شاعر في سيمه وهو اعى	راحر في حدائه وهو ابرم
دو لسان على ايمان ولبع	ان نحر كه من حشاه تكلم
هب والطرف يجربان ولكن	طامع الطرف ضالعا عنه اجمع

مر ينساب في المهامه صلاً مطرق الرأس أبتر الدين ارقم
مقلناه ليلاً سراج صليت أو شهادن يرحان المقدم
هفتنج من مقلتيه وعمت نحد الكون افر اللون أقتم
عافدا في الغضاء عيلم نفع وهو نك بحرى بساح عيلم

مواضع الشك والتساؤل

والأمر الذي أصبح موضعاً شكك والتساؤل هو هـ بدا العزل
الصوفي الذي انتهى اليه شعر الحوماني في ديوانه المائل لطمع
(سواء) فاه على ما فيه من حرافة وعدوة فطرية لا بشعراء
وأنت قرأه بشيء سوى الشهرة العائنة التي ندوى لها العيون وتحمى
الشعراء أما أن بشعراء هذه أمة الوجدانية وهذا الغناء في ذات
المحبوب كما يشعر صادق اشعر الوجداني في كل لغة وفي كل ادب
خصوصاً الادب العربي السامع مثل هـ أو اب اعارض حين يتحدث
عن شوقه الى الجنال الآهي وعن آلام الصوفي .

لله اجعان عين فيك ساهرة شوق اليك وقب بالعرام شعبي
اصبحت فيك كما مسيت مكسباً ولم افس حزناً يا ازمة انفرجي
اهفو الى كل قلب بالفرح له شعر وكل لسان باموى لمع
وكل سمع عن الاحبي به صم وكل جفن عن الاعفاء لم يعج
عدت بما شئت غير البعد عنك مجد اوفى بحب بما يرضيك مبتهج

وقوله حين يتحدث عن الجنال الآهي الذي ينحني في كل
الاشياء الجميلة

تراه ان عاب عي كل جارحة
 في سعة العود والتاي الرخيم اذا
 وفي مسارح غزلان الخائل في
 وفي مساقط اداء الغمام عى
 وفي مساحب اديال السيم اذا
 وفي الشامي ثمر الكاس مرتشفا
 وقول انور العطار :

يا آهي طيف العفاء بناحيك
 غاب لما دعاك عن وهذه الاثم
 أي الخطاك العذاب نجى
 حفر القلب بالقمى فتصمى
 وتلي بهجة وحبى لحن
 يا إلهي عنا لوجهك وجهي
 انا في كوني الصغير صلاة
 انا في هيكلي اللهي دعاء
 ساهد الجفن حاشع القلب داء
 أرقب المعجزة علانه اليص
 جدول رافع يرف من النور
 غرق بملأ القلوب ابهالاً
 وقول قيس بن ذريح :

واولا رجأ القلب ان تعصف السوى

لا حمله يمين الاضالع

له وجبات اثر لبني كنه شقائق روق في السحاب اوامع
 احوال علي الهم من كل جانب ودامت فلم ترح على القواجم
 اقضي بهاري بالحديث وبالنس وبجمعني بانيال والهم جامع
 بهاري هار الناس حتى ادا دجا بي الين هزني اليك المصاحم
 لقد رست في القصب منك مودة كما رست في راحتي الاصابع

اما ان يشعره ذلك العزل الحوماني بما تشعر به عند قرعة هذا
 الشعر الصوفي والوجداني الخالص .. فهذا لا يكاد يتطرق اليه
 مستقرا ذلك الديوان الخلد : ودونك هذه المعطوعة وهي من
 اروع وافصح ما قرع من ذلك العزل الى شر بعنوان
 (صوفية الحب)

كما ادبست منها جدي حقب بي ونبضت شفتاها
 فكأن اجمر احب دوما فدوت عيني واحمرت شفاها
 سألتي ما ترى فت و حشقت عيني به اسمي رؤاها
 وشفاها يتروض في ويلون اسمي حتى اراها
 وهوى يصعد بي حتى ارى مع عيني مع الله دوما
 تحلق الارواح في فيك ومقرن حواليك الجاها

فهل يطربك منها غير هذه لذة المصيفيه وغير هذه امدارة
 المسرحية ؟ وان هذا من أثر الحجة التي حترق بارها الصوفيون
 والوجدانيون ؛ فصوروها في بيانه بما صوروه من فناء النفس
 وبحو كل اثر لارادتها وزعائها الشخصية ؛ وبلاشيها في ذات من

نحب نلشي الماء السكر ؛ او نلشي يزيد بن الطثوة في قوله :

بمسي من لو مرة برد بانه على كبدي كانت شفاء امامه
ومن هابني في كل شيء وهسه فلا هو يعطيني ولا انا سائله

الفلسفة المعقدة

ثم اذا كان هناك شيء آخر في هذا العزل الخوماني الحديث
فهو هذه الفلسفة المكلمة او هذه الفداكة (المعقدة) في تخطيط بعض
المعاني العزلية القديمة التي كان يسعى مثلاً على القراء وبنيه اعجاباً في
ديوانه الاول ثم اصبح من جراء اغند الصريح يستورع ان يهرها
سبه الكرم ، فبن هذه الفداكة قد حسب على هذا العزل حنايه كروي
وجعل اكثر ، اعطاه جسداً بلا روح او لغطاً بلا معنى كما توكت
السامع ينفذ في شبه داحية من الالهام والموص لا يهتدي إلى كثير
من مذهب الشاعر واعراضه ولا يقف على شيء من المطلق المقتنع
والصور اوثرة وهي لاخره عن الشرح والتعيل يابوا بعض
الشواهد على ما ارغمه وادهب الى :

فمن ذلك هذه القطعة التي حصص بها مجنة العصبه الادلسية .
من ذا يقول معي : عيان ملؤهما دمع هما غدا عيبك دحور
فولي معي : لم يذب قلب شيت ؛ إلا ليسي ما تجبي من ثر
اخليت عيني من دمع بدهما بالور من فمك المحشور بالدور
وأصرت فك اصال شربت بها روحانطي به خذاك في اسحر

في عبي حواء صح درجت قبلي عبيك بين يديه من دم الخمر
لا تحزعي وتلقيهن سمسة للطيور يصدح عريداً على الشعر
كالشاعر الطفل يمشي في حبلته ويشد الفجر حواماً على العدر

التسامح في الوحدة والانسجام

وقبل ان اهي الكلام عن الشعر في هذه الطبقة ارى من الواجب
على تبحر الادب ان الفت النظر إلى هذا التسامح من شعرائها في ما
كان يتسامح به المتقدمون من السجع الصور اشعره وبعد الشك بين
ابيات القطعة الواحدة ، ثم إلى هذا التمریط فيما تعودوا التمریط
به من وحدة الموضوع والعرض ، كما يصح لك من شعر الشيخ
سليمان وشعر الحوماني وخصوصاً في قصائدهم الكبيرة كسبئية
الحوماني التي شئت مع سديتي السحري ومثوقى وخصت جائزة
سيدة لعائز بتحليل القصائد الثلاث وامقابة بينها .

فإن هذا التسامح وهذا التمریط يشوشان على القاريء انتباهه
ويضلان شعوره وبصره عن متابعة القراءة . ولبت شعري كيف
يستطيع الشاعر ان يؤثر في ذهن القاريء اذا لم يسلك به في مجرى
منطقي مستقيم ويأخذه في سياق معين ويرسم امامه وحدة فنية دون
ما تعقيد او عموض او اضطراب . واذا كان لشاعر العطرة في عصور
البداءة والجهل عذره من الاكتفاء بتداعي الافكار والخواطر
ووحدة الباعث للذكريات عن وحدة التأليف ووحدة الموضوع

والغرض ، فما عذر شاعر القرن العشرين في عصر النور والثقافة
والثرف العملي ، وقد مهدت له الالبحاث الأدبية والمقاييس الفنية
الطريق السوي الى مثله الاعلى ؟

انموذج من سينية الحوماني

ربما اضح التجارب درسي لثلاثين من سني وحسن
ولقد تكشف العطاء ليومي عن مآتي غدي بصورة أسمى
قد لعصت الحياة يشقى بها الحر وشرى منها يدا كل جيس
ايها ذا الاديب : صفك صفي تحت احدائها ودرسك درسي . الخ

وإذا كنت ممن يجب ان يجهد فكره وشعوره دون ان ينتهي
الى معرفة موضوع القصيدة وغرض الشاعر من نظمها . فاستمر على
قراءتها من ابديه الى النهاية وامعن الطر في ضبط السياق او
في توحيد أفكاره والموضوع او : ترتيب الصور والمعاني الشعرية
على سبيل طبيعي مسدس في محاذة نحو غاية واحدة ؛ فإك تضطرب
وتضطرب أثناء ذلك بين ان يكون عرض الشاعر من نظمها انك
يصور لنا الحطمة التي يجب ان تمشى عليها في بناء المستقبل
كما يهينك مطبع القصيدة هذا :

ربما اضح التجارب درسي لثلاثين من سني وحسن
ولقد تكشف العطاء ليومي عن مآتي غدي بصورة أسمى
او ان يصور لنا (رهده) في الحياة كما يعدك البيت الثالث الى

استقبال مثل هذه الصور :

قد أعطت الحياة يشقى بها الحر وتثرى منها يدا كل جيس
ولكن بيتنا انت تترقع منه هذا المذهب او دار ادا به يقول .
كم اطوف البلاد شرقا وغربا فوق طهرين من معين وغنس
أي جد يغريه بي ؟ أي عر يتراعى اليه اية نفس . .

فتتوسم به سيعذتك عن أضرار عطفته ؛ وعن اليهود التي بذلت في
بناء هذه العظمة ، وادا هو يميل بك الى اسفاص اوصصاع الشام
والعراق بقوله :

وإذا القول فيها دار ملك : وإذا المعنى ثمّ ديرة فلسي
لا يغريك في الشام رجل موثو بالرب ووجه الفرنسي
ثم يبين تحبه يريد ان يتزل في المحاسبة ؛ بعد ان اجهد البث
كما يتراعى لك من قوله :

همني همتي . فعيا وواحي في طلاب العلي ونفسي نفسي
احرقوني بعد المات ادا لم يُبس من دارة الكواكب رمسي
اذا به يقول بعد ذلك وبدون فاصل ؛

اتخذى إصلاح شعبي ؛ ولما تعدّ كفتاي لعبة انخسي
لم آثم يسمعون وهم غير صمّ لم لم يطقوا وهم غير خرس ؟
ثم يعود على اثر ذلك الى البث والشكوى بمثل قوله :

فاعجبوا للاديب وهو اديب وارداً في حياته ورد خمس !
وبينا تسمعه يندد بالاصدقاء غش قوله :
لا الوم الصديق ان يتسامى سالعات اليهود فالبعد يُنسي

إذا به يظفر لهاجة الموك فيقول :

شراً ما في الأمام يعنى مليك هي في شعبه عصاة يؤس

ثم لا تكاد تصفي الى قوله :

فل من حاول رعاية فيك بحدا نائس وشدة بأس

أحدثت بعدكم شجاعة عمرو ولدى حاتم وحكمة قس

حتى يراه يعقب على هذا الكلام بما لا يشتم معه في مساق

أو فعوى

أفأستعرض الحياة بنمويرك وفي لندن وغوطه مرسى ؟

ما الذي تبلغ الراعة في عيد السها وهي في الأمل حسر ؟

وهكذا تراه يدور بك ويتصي في نهلاته من فكرة الى فكرة

ومن حو الى جوف بعير ما علاقة او مساسة قوية نقصي الانتقال .

وتحفص السياق ويحدد العرض ؛ ونصون الوحدة الفنية ونستدرج

الحس والشعور والفكر الى التأثير بما يأتى به شاعر ؛ او الى

الافتتاح بما ذهب اليه من غاية وقصد (١)

ولعل الذي طوح بالشعر العاملي الى هذا الاضطراب والتكلف

في اصحام الصور والامثال واتى هذا التمهك والعوض هو ما

كان شائعا في عرو الحضرمين من الامتداح بلتفن وطول النفس ،

فقد كانوا — لاجل ذلك — يسترسون في القصيدة الواحدة

(١) ذلك رأي في شعر الحوامي منذ سنوات حث اما اليوم فقد تطور شعره

بفعل الانتقاد واصبح المعتد منه في طبيعة ادب المعصر

ثبات كل ما يسنح لهم من خواطر ولعرض كل ما يستقر دون
اليه من صور او ينتهون اليه من حيال دون ان يحنطوا في ذلك
ما يناسب العرض والمقام ويطاق الامكان والواقع او يحطط الوحدة
ويصبط السياق ثم يرصي الدوق ويشل الاعى في الفن وصال .

حالة النثر الفني

اما شرهم فقد ابتدأوا فيه على طريقة الخوارزمي المسيبوعة كما
يبدو من بعض رسائلهم القديمة ، ثم تطور بتطور الحياة الثقافية
وتطور الافكار والادواق الادبية حتى استقروا به على هذا النمط
الحاصل الذي يراعى فيه الترتيب والاحتراز من الحشو والعصوف
ووضع العبارة بطريقة تناسب العرض والمقام في فونها وابعادها او
سهولتها وتبسطها من غير ما تأتى في الوشي او تقاد في الحيال ذلك
بان اكثر الموضوعات التي مارسوها هي مواضيع علمية لاقصدهم
اكثر مما يقتضيه البحث العلمي من ترسل وصفاء ، وهو في حلقه
بليغ الاداء واضح القصد خالص من شوائب الغرابة والابلال الا
ادا تناول بعض الافكار الجديدة التي لم يسبق لهم ان مارسوها
ولا هي من الوضوح في اذهانهم بحيث يسهل عليهم الاستقلال في
بناء هيكلها وترتيب اجزائها ونميد الطريق الى استقصاء صورها
وبيان مميزات ، فانه عند ذلك يرتك ويضطرب في منطقه واسوبه
ولا يخلص — في اغلب المحاولات — الا باجهد العبارة او اقتضاب

الفكرة ، او الاسهاب واحد الموضوع من ايسر نواحيه وعرضه بصورة سطحية ساذجة لا تناسب بينها وبين الثقافة الواسعة والنظرة البعيدة ، ومن هذه الخصائص مع ما يكتنفها من صحة اللغة ودمامة المنهجية وهندسة العادة ، ظهر ما يمتاز به عنهم ونثرهم . واليك نموذجاً من نثرهم هذه الجملة بشيخ احمد رضا من مقال :

التقية

« فطر المرء على حب المصلحة ودفع المفسدة وبأصلت فيه محبة انذات فهو يجتهد لحفظ كياه ونقاء دانه وترقية شأنه وقد اختلفت أهواء الناس وميولهم فتقسموا احزابا ومذاهب تضاربت غاياتها واختلفت مقاصدها ثم لعبت السياسة دورها فزادت الشقة بعداً واتسعت مسافة الخلاف بين انفرق فككت فتنازع السلطة والمقام ولكن العزة بكاثرت والحق للقوة ، فاعترف كل فريق لائناء القوة في حزنه وحرص على الكثرة في قومه ليغال بذلك الرمة والمقام الاعلى ويستأثر بكروسي السلطة ويتسنى له نشر مبدئه ، واصبح كل ذي غاية يحاول جر الناس اليها ليسعف في الوصول اليها حتى اذا علا شأنه واستصعب القوة المناوئة له عمل على ملاشاتها لبستمرىء عيشه هنيئاً بلا منازع ، وحيث رأت الفئة المغلوبه على امرها صعبها عمن المقاومة كتبت امرها وأسرت دعوتها وانقت عدوها الى يوم يساعدنها الحال فنظير .

هذه هي التقية

ان التمسك بحال الحكم لفئة المستضعفة في مكان كثرت عليها
فيه العيون وعظمت المراقبة وكبر الكمال ، هو امر طبيعي لها يؤيده
المادة ويقبله العقل لتحفظ به كيانها حتى تجمع اليها ابرها وتصدع
يوم ترى مندوحة بما تؤمر

ان الفئة الغالبة اذا استبدت بتحرر الفئة المعوية وحردت سيف
سلطانها وسيطرتها من غير انصاف ترجع اليه ولا عدل يكتنفها ولم
تكن الفئة المهضومة لت شعنها بعد ولا تم لها تأسيس كيانها

اذا كان الامر كذلك - وظهرت هذه الفئة المعوية في حالها
هذه كان ظهورها نعم الظهير للغالبة عليها وكانت ذلك الظهور
مستعب للسبيدة بعرفة المناوىء فتتبعها قتلا حتى تأتي على آخر
ابنائها الا من انضم بحبل النقية منهم وتكون حينئذ تلك الفئة
المعوية قد هدمت كيانها بيدها وعد في عرف السياسة ظهورها هذا
تهوراً لا تحمد عليه

لو اعلن اولو الخلق حقهم غير معنصين بحبل النقية حيث يمد
عليهم الاستبداد بجناحه وليس لهم قوة المعالبة والدفاع ، لوضعوا
سيف المستبد على رقابهم ودعوه الى قتلهم فاذا افتاهم ذهب حقهم
شهيد تهورهم حتى يعنى اثرهم وكان عملهم هذا وان كان نصرة
للحق ولكمه من حيث المال خذلنا له .

وجهتهم في الإصلاح والتجديد

على المك توى بما يكتبون ويخطون ان وجهتهم الى الاصلاح السياسي والتجديد الاجتماعي اكثر منها الى الاصلاح والتجديد الادبي، وان المتسع لآثارهم السياسية لا ينتهي الى مقدن ادبي يتقدون فيه الاساليب العقيمة والافواص المزيفة ويضعون الخطط القوية ويحصون المديس الصحيحة التي يجب ان تنبع وتواعى في النظم والنثر، اللهم ما حلا مقالا قديماً للشيخ سليمان طاهر في آداب اللغة العربية (١) حول فيه شيئاً من هذا ولكنه لم يتعد فيه مذهب المقدمين كان قتيبة وابن خراون ولا اعتمد على غير القر والاستشهاد بالاقوال المأثورة، ثم بعض مقالات لسواه لم يعرضوا فيها لمير السرقات الشعرية وما احتل من اوزان وفواف او شد عن القياس من تراكيب او تن على السمع من الفاظ وحم اما العكوة واما بقية العناصر اداة للادب من عاطفة وحيال ومطلق فلا توى لها في محاولاتهم من لاهته ما يوضح معالمها ويصح دحائها بطريقة تحيلية محاولة انتقادية .

عذرهم في التجدد الادبي

وقد يكون عذرهم في ذلك ان التطور الاجتماعي في كل زمان

(١) المرفان المجلد الخامس

ومكان يتقدم التطور الادبي ، وان التحدد الادبي في ايام هضهم لم يكن له معالم واضحة ومناهج مستقيمة ليتقوا بها على ضعف انقايس القديسة ، فقد كان طلابه الى عهد قريب في مصر وموريا والعراق يضطربون في تحديد المراد منه أعر في ترحيم الالفاظ وترقيق الاساليب وتوزيع الاوزان والنوافي ، او في وصف الرياض والماطر الطبيعية ، او تصوير الحوادث السياسية وحرب الامثل وفلسفة العبر واستنهاض الامة وانتقاد اوصاعها الاجتماعية ، او في وصف المخرعات العصرية واستبدال المراسيع القديمة بموضوعات جديدة ، الى غير ذلك من مقاصد واتراضات بعيدة عما يقتضيه التحديد في جوهره وحقيقته ، فان الترحيم والترقيق ووسع الاوزان واقواي ، وبغير المواضيع لا يجدي شيئاً في تطور الادب ادا لم نستقل الافكار وتجردت الاحيلة وتسجم الصور والمعاني ونصدق العاطفة والشعور ونخلص البيان بطبيعته من اعساف الخدلقه والانغراب ، والتكلف والا كان التطور للتقليد لا للادب في جوهره وحقيقته .

اثرهم في النهضة املية

وعلى كل محسب ، اثره ومجراً ان كانوا اول من ارضى القديس ونصف الجديد ثم اول من اشجع وعمر في هذه (البنية) على تحرير الكتابة من قيود الساعة البغطة التي شب عليها الجميع ، فأحسنوا الاسترسال بها على مقصى البينة والابيع بعد ان غلب السجع وغلب عليها العمل ، وان كانت لهم هذه اليد الطوى في

تطور الحركة الفكرية والادبية والاجتماعية والسياسية ، والاخذ بيد كل من احلص لمستقبل امته ونهضة بلاده .

التأليف والمؤلفات في هذا الدور

ما التأليف في هذا الدور فانه قد كثرت وكثرت المنطعون عليه وخصوصاً في المواضيع الدينية والجدلية والتاريخية ، ولكنه على علته لم يزال يصطرب في وضعه ومنطقه بين الاساليب القديمة والحديثة ، اهتم المؤلفين الذين انقطعوا للتدبير في دراستهم واحتشدوا - في التأليف - طريقة من سبقهم على الذين تأثروا بالاساليب الجديدة وساروا على قبس من نورها .

اعيان الشيعة

ولا ابلغ ايداً من ان اتمس كتاب في موضوعه وهادته واستقصائه يمثل الفئة الاولى من نمثيل مع الحرص على الاسترسال والوضوح في عبارته وعلى الترتيب والتمسيق في ترويه هو كتاب (اعيان الشيعة) لعلامة الكبير السيد محسن الامين وقد طبع منه في دمشق ١٦ مجلداً .

وما يمثل الفئة الثانية ويتفق مع تطورها الفكرية والادبي فان اكثره الى الآن لم يتهيأ له الشر لسطوع عليه الاطلاع الذي

يبيح لنا الحكم المطلق او الموازنة بينه وبين غيره من الكتب
القيمة ، ولعل انفس ما عرفته من هذه المؤلفات هو :

متن اللغة

للعلمة الشيخ احمد رضا عضو المجمع العلمي العربي في دمشق ،
وهو قاموس عام شامل جامع في المؤلف في اختيار المصادر موثوقة
وفي ترتيب مواده وبما يمتاز به عن سائر كتب لغة التقدمة والحديثة
كونه اكثرها احاطة بالمردود واوفرها دقة في شرح معانيها ووجوه
استعمالها : وكونه يشتمل على المردودات الحديثة المولدة والمعربة
التي افرغها المجامع النحوية في البلاد العربية او التي توصل اليها اجتهاد
مؤلفه عن طريق احياء كلمات قديمة يتناسب مدلولها مع بعض المسميات
التي انتجتها المدنية الحديثة :

معجم قرى جبل عامل

لعلمة الشيخ سبطان ظاهر عضو المجمع العلمي وهو عبارة عن
تاريخ عام لجبل عامل قد رتب على حسب اسماء القرى والخواضر
فشرح عند اسم القرية كل ما اتصل بها من حوادث سياسية وأدبية
وعمرانية مع اشارة فصيحة الى الأسر والاعلام الذين نشأوا فيها ثم
الى ما خلفوه من اثر صالح ، ولعل هذا الاسلوب في جمع اشياء

هذا التاريخ المبعثر هو خير املوب لضبط اصوله وترتيب فروعه على
نسق مستقيم يشوق القارئ الى استقصاء صفحاته .

الشيعة في التاريخ

لعلامة الشيخ محمد حسين الرزين وهو بحث ضاف نزيه عن فرق
الشيعة وتناهدهم ومواقفهم الشهيرة مع تراجم رجالهم الاعلاميين ،
وشرح واف لأسباب تشيعهم من بدء شأنهم الى اليوم وقد طبع
سنة ١٩٣٨ في مطبعة العرفان .

دور التجديد والترف الفني

... ويمكننا بكل اطمئنان ان نذهب الى ان هذا الدور قام على ركن من ائمة بكتاب (العرفان) الاول ، وعلى دعائم من التقدير لما كانوا يشعرونه ، وقد كان لهذه الثقة ولهذا لتقدير اثر كبير في بحث اسئلة على طلب العلم في المدارس الحديثة العالية ، وفي حمل الشباب المتأدين على تدفع كل جديد من الكتب المؤلفة والمترجمة ومن الصحف العلمية والادبية وعلى الشجع من اجاث قادة الفكر ومحاولة التجرد في الرأي والدوق الشخصي من كل تقليد ومحاكات . كما انه كان لا يشار الصحف ونحس الشبهة العامية النجفية لكل جديد من الادب اثره الفعال في تجاوب افكار البهين وفي تيقظ شعورهم وتنظيف ادوافهم وادكاها روح النهضة والظمرح الى الحياة الحرة والاستقلال بكل معنى من معانيه الشخصية والاجتماعية

الطبقات الثلاث

وباستطاعة الباحث اذا توسع في نظره هذه الكتل الادبية التي تتألف من هؤلاء الشباب الذين يتقنوا بثقافة عربية خالصة وهؤلاء الذين يتقنوا بثقافة عربية مشوبة ، واولئك الذين شربوا على النثر هؤلاء وهؤلاء — باستطاعته ان يقيم هذا الدور ، دور الجديد والتوف ، الى طبقات ثلاث :

الطبقة الاولى

١ — طبقة تعتمد في ادبها على العطرة السليمة ، ثم على ثقافة نخبية كل ما تيسره للطالب انطموح دراسة الآداب العربية والعصور الاسلامية على ا طريقة القديسة ثم الالام بالصعب والكتب الادبية الحديثة التي ألفها وترجمها ادباء العرب في مصر وسوريا والعراق واميركا . ثم الاتصال بالطبقات الممتازة في صموحه ونصرها الى الحياة . وان في درس آثار النابيين من ادباء هذه الطبقة كالا سائدة . صدر الدين شرف الدين ، حسين مروة ، هشيم محسن الامين ، ما يوضح خصائصها الادبية ويزيد القارى استبصاراً بغيرات النابيين

الخصائص الفنية

وقد يكون اظهر ما تقاربه من خصائص بياية حرصها على

صدق التعبير واتزان الصور مما تتأثر به النفس من حوادث واجواء ومشاهد ومواضع ، ثم مبالغتها في توقي العامص والمبتذل من الالفاظ والتراكيب ، وفي إثارة القوة والرصانة ما وجدت الى ذلك سبيلا . فهي مع تحددها وتأثرها ساليب التفكير الحديثة ومعالجتها لكثير من اموصوعات والنواحي الأدبية على وجوه لم تكن معروفة عند من قدمها من لاداء العاميين ، ما يرحت تتأق في صياها عباراتها اكثر مما تتعق في تحت مانيها ، ودعا كانت في احكام الاسلوب أرفع منها في احكام الفكره واستقصائها من سائر وجوها شرحاً وتديلا ، اللهم ما حلا بعض الافراد في بعض المواضع التي وقفوا فيها الى الكمال من سائر وجوها . ولدا جاء أدبهم في ارفع مصاديقه ، مطرد السلك ، محكم السبك ، سائغ العذر ، بعيد العور ، لا يشوبه ضعف ولا قلق ولا افتعال .

واليك نردجاً من أدبهم هذه الجملة من مقال الاستاد حين مروره في تحليل قصيدة عزلية لشاعر العرق محمد مهدي الجواهري :

« لكأنني أنظر الى هذا الشاعر الان ناهل في سامر حمالى المعان ، تتعري فيه المعربات على صور من العربي نطل من بعض جوابها (آله الشعر) وفي عينيها ثعل مشوبة ، ونطل من جوابها الاخرى (آله الودة) وفي شفتيها ضرام من الاشواق يتوهج توهج الكأس التي بين يديه ، فيثور الشعر في رأسه وتضخ الشهوة في اعماقه ، وتصرخ الودة في عينيه ، ثم يشوب الى رشده

قليلًا نادا السامر الطروب ينسم حوالبه ويتشوق الى الشعر نشوقاً
يحسه في قرارة شعوره احساساً جارحاً فيندفع قائلاً :

جربيني من قبل أن تزدريني واذا ما دمتني ناهجري
ويقينا ستندمين على اسك من قبل كنت لم تعرفيني
لا تقيسي على ملامح شكبي وتقاطيعه جميع مؤوي .. الخ

وينتهي الشاعر من هذا المقطع الصارخ وفي نفسه بقية احساس
حزب برغم هذه السورة التي تشع اشعاعاً في كل كلمة من
الآيات الاخيرة ، ثم نعروه انتفاضة شعرية يزهي فيها بنفسه لانه
صد الجمهور في عقده وتفكيره وعقيدته وصدده في تذوق الحياة
ومتاعها ويأبى على نفسه ان يخدع بتقاليد الناس وان يداخيلهم ،
لان مداخيلهم — وهو ابن العشرى — تحرمه لدادة العشرى

ونشب هذا في صدره لوعة غارمة يستمت التذاعة يأس متخادلة
قائلاً :

أخذني الهموم الا قليلا ادركيني ومن : بها خديبي
ويرجع بعد هذه الالتفاتة المتعانة ليسنحت (عروس خياله)
ان تدرك أميته قبل ان يطوى في طعة الابد : ويعبأ هذا الى
الاغراء الصريف العذب مليء النفس بحسب الطبيعة مصوراً أدق
التصوير حياة الفكر فيما بعد الموت مستعرضاً صوراً من الحياة
الآخرة ليست هي من ابتكار خياله فيما نعم ، ولكنه استطاع
ان يلونها ابرع تلويذ وان يمزج ألوانها بذائب من سحر الاغراء
نفاح الشذى .

وتسلكه بعد هذا المقطع شوة تكمن فيها رغبة نائرة ولكمه
يسبح فوقها من عدوة روحه سبيحاً يكاد يوهم ان الشاعر يمدك -
هدوء اعصابه فلا يقول - ما يقول هنا - الا بحالة ودعابة
وحسب ثم يعيض بهذه المجازاة الطريفة كل الطرافة الراحلة بالصور
(المكشوفة) المعربة التي يتجنى فيها خيال الفنان المبدع واحساس
الشاعر المرهف ، ودوق الاديب الموهوب .

ويستعيق الشاعر - بعد هذا كله من شوته وكانت
جذوته قد انطعاب فجأة كما سطع في جدوة الشفق الاحمر فاجأه
الغيب ، فادا هو يماجئك بآخر بيت من القصيدة مستنجعاً فواه
مسهداً تهدة عيقة بعثا صدر مكود معندراً اليك مستنعم (عروس
حياله) هذا البيت الجليل الخليع اذ يقول :

ما أشد احتياجه الشاعر الحسا من يوماً ساعة من جوار

أرأيت كيف نطق معزة من ديباء تلك التي افتت في تصويرها
أيما افتنان اي هذا اليب ادى يخلق في دهبك ديبا جديدة تتمثل
فيها شاعر مشغلا بالاحاسيس ، ثقة تصبها عليه الحياة صباً فينوء
بها ويحاول الانفلات من انماها فيطر يتروى ساعات من العمر
حتي تخين له عرصة من الفرص يلقى احماً من طهره وبقي الى
طل وارف ندي بوح ويرتع بين أحضانه كقطعل عرمدل بين دراعي
أم طروب لروب »

أثرهم في النهضة الادبية

على ان الانصاف يوجب علينا قبل ان ننسى 'قدماً في البحث' ، ان نصرح بأن جل أدباء هذه الطبقة ومن تأثر بنوعيتهم من الشباب قد كانوا بدورهم أوسع أثرًا من غيرهم في تطور الحركة الفكرية وتحويل الاساليب البليغة ، واشد اهتماماً على مجابهة الاوضاع الرجعية ومحاربة العناصر الضارة والتقاليد احمية . ذلك بان كثرة أبناء هذه الطبقة قد بثّوا في أحضان الارستقراطية العلمية ونشأة رجعية ، فكان لهم من تاريخهم الارستقراطي ما يزيدهم جرأة وصراحة في اعلان فكريتهم وفي ابداعهم عن مبادئهم . وكان لهم من حرمة أسرهم ومن مكانتها في الاوساط الشعبية ما يصونهم من هوس المعروفين وصف المقتولين بمنزلتهم الاجتماعية من العلماء ولرعايا والادباء الحامدين . ثم كان لانقاصهم وثورتهم على ما نشأوا عليه من أفكار رقيمة وتقاليد رجعية أبغى الاثر في افعالهم امتنعين للتقاليد البالية وخذلان المحافظين على الاوضاع الرجعية ، وفي تشجيع الناشئين بشأ جديدة والمتحفزين للحياة الجرة في هذه البيئة المنكودة الطالع ، اصف الى هذا كله ان الظروف بتطوراتها السياسية والاجتماعية والثقافية حامت كلها مبررة لمصالحهم مؤيدة لنزعائهم .

الطبقة الثانية

٢ - وطبقة قد أخذت عليها الثقافة الحديثة كل باب وكل

صبل حتى اصبحت وليس لها من الايمان بقرائها الادبي ما يحملها على احترام القديم او تأثر وجهته ، وانما عليها الاكبار للآداب الاوربية من افرنسية وانكليزية ، وامتد بها التأثر بأصاليهم في الصور والتفكير ، والتعير الى حد كاد اكتر افرادها - لولا ان يحكمهم التعصب لتاريخهم وقوميتهم وپروض الستهم الانصال بالخاصة من اصحاب انعة الفصحى والاسلوب الرصين - ان يضطرب ، بياهم وتثنوي أصاليهم ونكون لفنهم اقرب الى اللغات العامة والاعجمية ، - منها الى العربية الفصحى (في ارتباك العبائر وابتدال الالفاظ وتشویش الصور والتباس المعاني - وذلك لاضطراب ملكاتهم الادبية وغفائهم الفية بين انعات والثقافات والآداب المختلفة الاماليب والاتجاهات والخصائص :

مذاهبهم الادبية

اما مذاهبهم في الحياة الفنية فان اظهر ما فيه (اذا استثنينا منهم الاستاد كاس مروه والسيدة وداد سكاكيني) ميلهم الطبيعي الى رسم شتى العواطف والآراء الادبية ونصوير مختلف الالهواء والازمات النفسية ، ثم قنة اهتمامهم بتطور النزعات القومية والمشاكل السياسية والاوزاع الاجتماعية التي بتت الشغل الشاغل للجمهور . ونظرة شاملة لآثار اللامعين فيهم كالسيد عبد اللطيف شرارة ، والسيد

خليل هنداوي (١) والسيدة رهرة الحر .. تكفي لدلالة على ذلك

الخصائص الفنية

ولعل اظهر ما تماز به هذه الطقة من خصائص هو الدقة والاكافة في ترويض الصور ودويع الاحية وترويض المعاني القريبة . ولهذا تبدو افكارهم واخيلتهم على الاحمال اطرف وادق واروع من لغتهم وبيانهم مما يور القول بان معانيهم ترويض العاطفهم ، اللهم الا من شذ من الافراد الذي - بممارستهم الآثار العربية الديمة الاسلوب العصيحة اللفظ - صحت لغتهم واعندلت اساليبهم ومما بيانهم في ادوع مظاهره وادق مناجيه عن الابتذال والتمقيد والتسافر ، واصبحوا مناط الامل والرحاء في تقدم النهضة الفكرية وقيادة الناشئة الادبية الى هدفها الاسمي بما انتقوه من لغات مختلفة وأوتوه من ثقافات متنوعة تساعدهم على التوليد والتطور وتوفر لهم اسباب التلق والابداع في كل نوع من انواع الادب . فان الثقافة البسيطة وقد اصبحت اليوم لا تستطيع ، في بناء النهضة المتيدة ، ان تير الطريق لحرية التفكير وتمهد السبل لتجديد الحياة العنية وتقديم العدد الكافي والمثال الصالح للاجيال المقبلة .

(١) هذا رأيا مدونة ١٩٤١ ما اليوم فقد تطور اعتقادنا بتطور افكار ادباءنا وتصور آثارهم الادبية :

واليك نموذجاً من ادبهم : هذا الفصل من مقال قصصي للامتاذ
عبد اللطيف شرارة يرد به على بعض هواة الادب الرمزي في لبنان :

« الساقية : عندما كنت في صميم الأزل نفذ النور الى اعماقي
واستحور ايمان على مؤادي ، فتدفقت ابعاماً عذبه وتساميت بشيداً
رقيقاً كموجة رائعة غاذية من موجاتي الصافية ، ولكنني لم اجد من
يفهمني ، ولم اسق شيئاً يصمي اي ، فتوت على نفسي وجريت ينبوعاً
من اماء وصحبت هذا الرادي ، فعدوت ، والاشجار من حولي تتيل ،
والازهار تنشر انعطافاً ، والطيور تديع الصفاء ، والضياء يحوم على ضمعي
مينير عدوة الرادي ، وينعش اشجار ارايية ، ويلهب صبور السماء ،
اصبحت شيئاً في الوجود ، كأنني لم اكن من قبل شيئاً

احلها : ليتك بقيت كما كنت شيئاً يرف مع السحاب الالهي
يوقع رقص الغمام ، وبسكر اشددة الشهب ، ليتك لم تثوري على
نفسك فقد كانت نشيع رواء في السديم ، وتكهرب الاثير ،
وتفعمه بشوة علوية تحف لها كواكب الجوزاء ، لقد فضيت على
حمالك وعذوبتك حين تخيرت هذا اللون من الحياة ورصبت هذا
الاسلوب للظهور !

الساقية : ولكنني كنت اغني ما لا يسمع ، وأقول ما لا يفهم
فلا انا اعرف ما يجول حولي ولا الكون يدرك ما يخالجي ، كنت
احب الزهر والزهر لا يعرف حبي ، كنت اناجي الطير والطير لا
يفهم سري ، كنت اذاعب السيم ، والسيم يسخر مني ، فكيف ارضى
حياة حللت عن الحب والنجوى والدعابة ؟

احلأيا : كنت تغني اعذب ما ينغم ، وتقولين احل ما يقال
والكون حولك سادر حائر ، بحس ظلاوة ما نشدين ، وبينه في
سحر ما تقولين ، ولكنه عجز عن مبادلتك العاطفة واشراكك في
العظمة ، فصرف عنك النظر واملك كما يمل المزكوم زهرة فل
مطلولة ، لقد كان اولى بك ان ترفعه الى مستواء لا ان تنزلي
الى مستواه .

الساقية : لا نسي افي جزء من الكون ، يجري علي نظامه
ونطوف في احلامه ، فان احبته احبني وان ابكرته انكرني ،
وما هي الا نورة هادئة انتزع بها النفس من غرورها لأدوب فيه ،
واكشف محبته حتى اسطر عيه فاستفيد منه وأبيده ، هذا هو
الربيع سه كيف كان وكيف سار .

الطبقة الثالثة

٣ - وطبقة كل ما تعتمد عليه في ادب - ١ هو القطرة السامية
والذوق السليم والاحساس المرهف . واما ثقتها الادبية فهي من
الالمام بما يحدث في البيئة وبشيع في المجتمعات ويذاع في الصحف
السيارة من آراء وافكار ومذاهب ادبية وسياسية واجتماعية . ولئن
نهياً لغيرها من لادباء ان يتجددوا ويجددوا ، شراق من التعميم
العالي ووحى من الثقافة الاوروبية ان ابناء هذه الطبقة لم يكن
لهم بما يوقظ شعورهم ويلطف اذواقهم ويتوجه بهم هذا الاتجاه

الطريف الذي ارتفع بأدبهم الخي عن مستوى الآداب الرجعية ،
غير ظروف بيئتهم وعواصم مجتمعاتهم وغير ملابساتهم واختباراتهم
الخاصة .

ولا غلو فيما نذهب اليه من ان أبع شخصيات هذه الطبقة هم
السادة الشعراء عبد الحين عبدالله ، موسى الزين شراره ، نور الدين
بدو الدين .

خصائصهم الفنية

ولعل اظهر ما يميز ادبهم من خصائص فنية هو الوضوح ،
والصدق ، والصراحة ، والحادية ، وان افكارهم واخيلتهم اشبه بلغتهم
واساليبهم البياية ، فكل منها طبيعي بسائر الدارج والشائع في
الوادي واجتمعات الخاصة والعامة ، ليس فيها سوى السهل المألوف
من الجميع ولا هي بالمبتذلة التي تند عن ذوق الخاصة ولا هي من
العق بحيث ترتفع عن طوق العامة في الفهم والادراك ، وقد يكون
شعرها عما فيه من نقد صريح وسخرية لادعة وتوسل جريء في وصف
كل ما يتأثرون به من شؤون قومية وغنية ، اصدق صورة للحياة
الاجتماعية في هذا الجيل وفي هذا العصر وفي هذه البيئة ، ثم اوثق
شاهد على تطور الشعور وثورة الفكر .

ودونك هذه المقطوعة من شعر موسى الزين شراره في نقد فئة من
رجال الدين

حببت عامل في بلواه منعرداً إذ حرم الشيخ فيه رؤية الصحف
حتى سمعت وبعض الصحف اكدي ان ذلك مأجود عن النجف
عجبت من لجنة الآثار كيف مهت عن عرض اشيائنا في معرض التحف؟

اتحاد العناصر الذاتية في الشعر والنثر

هذا وطرأ لان الشعر والنثر الفني لا يختلفان في رأى الاكثوية
من ادباء هذا الدور الا بلورن والقافية ، واما بقية العناصر الذاتية
للادب من عاطفة وحيال ومنطق فاما انما تتفاوت قدالة وكثرة
وقوة وضعفاً في الشعر والنثر بتفاوت الموضوعات والمناسبات
والحالات النفسية التي تسيطر على الاديب اثناء العمل الفني لا بتفاوت
نوع الكلام بين الشعر والنثر . وطرأ لذلك احكام القول عن خصائص
الشعر والنثر عند الكلام على ادبهم واكفينا من الشواهد بنوع
واحد من الشعر او النثر

التأليف في هذا الدور

اما التأليف في هذا الدور فانه الى الآن لم يعد ان يكون
من هذه الكتب المجموعة من المقالات المحلقة المصنوع والعرض
باختلاف الظروف وحالات التي اوجت بها واملتها على قلم الكاتب
او من هذه الدواوين المراتمة من القصائد والمقطعات الشعرية ، وهذا
النوع من التأليف لا يختلف في حملته عن ادب القصيدة والمقال وقد
فصلنا القول فيه .

اما التأليف بمعناه الخاص وكما يتطلبه الروح العلمي الرصين في
 منطقته وتفكيره فإنه - اذا استثنانا كتاب نحن في افريقيا للاستاذ
 مروه وكتاب (عبقريّة الرحي) لـكتور عبد المسيح محفوظ وبعض
 الكتب المدرسية ككتاب الانشاء - مثل للاستاذ كمال بيصاوي - لم
 تنهياً له الى الآن اسبابه ومؤثراته بين ابناء هذه الـور وشبابه
 ائسف ، او انه لم يصل اليها ، انه مما يفتش المادح العالية التي تشجعنا
 على ايجاد الفكر في ادرس وانوازة ومن ثم اخلاق الحكم النهائي

القصة في الادب العالمي

ما اهلك العالميون الى الامس القريب يعتبرون القصة ملهامة عامية او نوعاً من الادب المسحط لا يليق بالطبقة الارستقراطية في عصرها وادعوا ان تعى به عبايتها بالقصائد والمقالات ، ولئن هم مارسوا فن المقامات وهو مما يمت الى القصص باقرب الاسباب - فذلك لان امته غير لغة القصص ولان غرضهم منه غير الغرض منها ولانه لا يتنافى مع التقليد للقدماء

بيد ان تيار الهبة الادبية في هذا العصر دفع بالطامحين من شبابنا وخصوصاً هؤلاء المتحمسين للآداب الاوروبية وهؤلاء الذين تأثروا بهذا الجو القصصي المنع الذي خلقته جريدة « المكشوف » البيروتية وجريدة « الهاتف » النجفية ومجلة « الرواية » المصرية الى محاولات جريئة موفقة في عالم القصص كان لها وقعها في النفوس وأثرها في توجيه الانظار نحو القصص وفي اقبال المتأدبين على قراءته وممارسته حتى تطور تطوراً محسوساً او شك ان يكون له بينهم مذاهب مختلفة واساليب متباينة .

مآخذ القصص العاملي

ولكن مهما بالعدا في شأن هذا التطور فان القصص العاملي لم يتسن له حتى الساعة ان يتحرر من شواثب التقليد والمحاكاة ، ولم يتبها لهوانه من المروءة والاطلاع والمخصص الثقافي ما يكفي لبراره فماً كاملاً له مشخصاته ويميزه القية بين النص العربي لمعاصر وله اثره وميزته الموقفة في نفس الجمهور . ولذا ترى اكثر قصصهم لم يسم بما اخذ به بعض النص انساني ، من ضعف انون المحلي ، او ضعف العقد ، او الحشو .

فان اللون المحلي الذي يزبد في اطمئنان القارىء وضاعف باثوه لا تكاد نشعر به وانت تقرأ بعض هذه القصص العامية اد لا ترى اثرأ بينأ هذه الخصائص الشرقية ولهذه التقليد والآداب العربية التي تلبس حياتنا اليومية وتنص بكن ما يشاره من قول وفعل ، وإما تحمل لك في اثناء قراءتها انك في بيئة غريبة صا نشأت فيه من اجواء وعادات وعقائد ، فلا هي عربية خالصة ولا هي شرقية صريحة .

وكذلك العقدة المسنة المنقولة التي تنور الفكرة وتؤيد في التشويق والاثارة وتأتق في تشخيص أبطال القصة ، انها الى الآن قلم تتوافر الا للقبيل من القصص العامية .

ثم ان حرص بعض كتابنا على الامتطواد لوصف كل ما يبرون به من حالات ومناظر واشخاص ، كثيراً ما جرم الى فصول

الحديث وحشو الصور النابية عن كل ما يقتضيه سياق القصة من تسلسل الحوار واتساق الوصف وإيجاز القول ، وذلك بما يضل ذهن القارئ ويحمد سمته .

موضوعات القصص العاملي

أما موضوعات قصصهم فأكثر ما رواها منتزعة من صميم حياتهم الشخصية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والفنية ، كما ترى في قصة « أيام » لهاتم بحسن الأمين ، وقصة « الأعمى » لهاتم بحسن الأمين ، وقصة « بين الخماة والكنة » لوداد سكاكبي ، وقصة « أديب » لحسين مروه ، وقصة « القلم الوديع » لمحمد شراره ، وقصة « صباب » لعبد اللطيف شراره ، وقصة « أبي » لصدر الدين شرف الدين . وهذه القصص أو مقالات القصصية هي من أبلغ ما قرأته لهم في هذا الباب .

اغراض القصص العاملي

وأما اغراضهم وعبايتهم فهي قلما تعدى تصوير الجمال الفني ترويحاً للنفس من اعباء الشعور المكبوت والاحساس الممض . بيد أنهم حين يرفقون في تصوير ذلك ويحكمون من قصصهم يصلون الى ما قد يرمي اليه غيرهم من الاغراض الاجتماعية والعايت الانسانية لانهم قلما يتأثرون بموضوع قصصي الا لانه شاذ عماه عن انثل العيب او موافق لما . ومتى هم برعوا في تصوير هذا للشاذ بشذوذه او املحوا

في رسم هذا الموافق لمثل العليا لكن ما له من مشخصات مفوية
فقد تمكنوا من ابلع رسالهم في تقريب هذا المثل من نقوس القراء
او تبعيده .

واما الاسلوب فهو لا يحذف عن اسلوب الكاتب في مقالته
الا في التزام السهولة والرفقة في الفظه ومراعاة السلامة والبساطة
في تواكيه .

الاعتداد بالجيل المقبل

ذلك هو ربي الحاضر في ادب هذه الطقات الثلاث وهذه هي الصورة الموجزة لخصائص الادب في هذا الدور الاخير ، فادلم يفهم منها ان ادباء الشباب قد ادوا رسالتهم ووصلوا الى المرتبة التي يطمحون اليها او الى العاية التي يتسبونها على غيرهم من الادباء حين يفتدون ربه ويتقدمون ادبه ، فعددهم في ذلك ايضاً ان التطور الاجتماعي والثقافي في بلادهم التي شربوا فيها وتأثروا بآدابها وتقاليدها واجوائها ، لم يبلغ بعد مداه ولم يصل من الحرية واليسر والرفق الى الحد الذي يؤهل الناهضين من ادباء ، ويساعد الطامحين من شبابه على تحقيق اقصى مطامعهم في العلم والادب والحياة الحرة ، وعساهم بما يبدو من اقبال الناشئة على التعليم العالي — ومن تنافس ارفعاء والعلماء والادباء والشباب المثقف في اثناء المدارس الحديثة ، وفتح العرف المجانية لمطالعة ، وبما يلوح من تعاون الطبقات الشعبية والجمعيات المنظمة على نشر العلم وتعميم الاصلاح في الخواصر والقرى ثم توالي المهجرات العلمية والاقتصادية الى اميركا واوروبا والعراق وافريقيا ، وتأثر المهاجرين بما

يتصلون به هناك من بيئات مشددة ومجتمعات راقية وحياة حرة
تشعرهم بقيمة الحرية وتحفزهم لعلم والعمل الصالح والسير قدماً الى
الامام — عساهم يمثل هذه العوامس والامباب يبلعون اقصى امانيهم
وقصارى غايتهم من السمو والتقدم على يد الجيل المقبل . فان مثل
هذه المساعي الحميدة والجهود الصالحة التي اصبحت موضة للتنافس والمسابقة
من الرعماء والعلماء والادباء والهاجرين ، وان تكن ضئيلة فاقوة بالسببة
لما يتطلبه هذا العصر وهذه البنية من عوامس الاصلاح ووسائل النهضة
وحرارة المسمى لمي أحسن من ان تذهب هدرأ ولا يجري مفعوها
في مثل هذا الجيل الناشئ الذي يتوقد دكاء وينهب غيرة وحماسة
لكل جميل صالح ولكل جديد نافع في الحياة .

مصادر التاريخ العامي^(١)

يوشك تاريخنا "سياسي" قبل عهد مصيف النصار ان يكون اشد
موصفاً ونوعاً في الاساطير من تاريخ طم و جديس ، فهو من عهد
مصيف حتى اليوم يكاد ان يحو من تصوير الاخطاء والمخدرات
الدياسية على وجهها الصحيح ومن ذكر المعارضين ووجهات نظرهم
في السياسة التي كانت تتعدهم وينحدون في بعض الاحيان ، دع
عنك هذا الافتضاب عهد السوش وما وصلنا من وثائق واخبار
وملاحظات .

ترى ان جرس عدم والعالميين - قديماً - كانوا تابعين لميرهم من
الحكام والمقاطعات ، ليس له ولا هم شأن يذكر في سياسة البلاد
وأحداثها الجسام ٢٢

أم ان سجلاته التاريخية بلاشت إهميا تلالى من الكتب في عهد

(١) فصل من كتاب (مع التاريخ) الجزء من ٩

الجزائر؟ مع انه لم يفقد شيء من شعر العاملين في مدح هؤلاء
الزعماء الذي كانوا هدفًا لانتقام الجرار وموضعاً لتسكينه ك شعر الشيخ
ابراهيم الحاربي والشيخ ابراهيم بجي؟؟

ام من الجائز ان يكون ادي يملكون شيئاً من النصوص
التاريخية ما انعكوا خائفين من مغبة شرها؟ او حريصين على احتكار
ما يختصون بعرفته منها؟ او ضيقين بكشف اوراقهم على من يحاول
تحرير التاريخ من الاماطير وكتابته بروح علمية؟؟

او من الجائز ان يكون علماءنا وأدباؤنا ومؤلفونا قد نهانوا
بهذه الناحية من تاريخ جبلهم مع انك نجد ان اروع الآثار العلمية
والادبية التي شع منها اسم هذا الجبل في سائر الافطار اما ازهرت
ونمت وتحدت الينا من هذه القرون السابقة لعهد ناصيف؟؟

او من المحتمل ان يكون ما كتب من تاريخنا السياسي لم
يكتب بروح علمية تحرك اهتمام القراء او تدعو الى اطمئنان الباحثين
او تستوجب الاحتفاظ بما قد كتب منه؟؟

ام ترى ان ابطال السياسة الاقطاعية في هذا العهد قد جرى كل
منهم على طمس الاخبار التي تمس مفاخره من قريب او بعيد او
تعزز دعوى احصائه ومساهمته او تصادم مع اغراضه واحلامه
الشخصية في هذه الناحية الحساسة التي تضطرب لها النفوس وتستعر
الانانيات وتتحدى الاحقاد في عملها الهدام؟؟ لا ادري اذ ليس في
تاريخنا سؤال او جواب او اشارة تم عن هذا كله او بعضه؟

وإذا حاز لنا ان تتوسع في الاحتمال اكثر من ذلك فان الشك قد يعمو بنا ويذهب كل مذهب في السؤال عما بقي وعما صاع منصوص التاريخ . وفي الاستعفاء عن مصدر هذا الباقي او عن حقيقة ومدى صدقه ودلالته .

فلننظر الآن فيما يرجع اليه الباحثون من مصادر عامية او فيما يعتمدونه من الكتب والاقوال .. وهي تكاد ان تنحصر فيما يلي :

الاقوال الشائعة

١

ان الرأي العام في كل مجتمع - ولو كان الاعم الاعلى من افراد علماء متقنين - تسيطر عليه روح السداجة والبله وتشيع فيه الاقوال الكاذبة كما تشيع فيه الاقوال الصادقة وربما كانت الكلمات الموهبة والاحاديث الملقنة اشد نوعاً في العفوس واكثر اسجماً مع داعي الهوى من الحقائق المروءة ، لما يكون فيها من دقة وغرابة او طرافة صاعها .. وابدعها خيال الرواة والفصاص على خير ما يشتمناه المعجبون والرافقون والصامعون في احلام اليقظة . ولولا هذا لما أثرت محطات الاداعة وصحف الدعاية وتصريحات الرؤساء أثرها السيء في تضليل الرأي العام الاوروني أيام الحرب الكونية او في تضليل الرأي العام العربي في محنة فلسطين ومأساتها الدامية .

فكيف بهذا الرأي العام اذا كانت افراد من العفلة والغرور

بحيث يروح فيهم مثل هذه الاقوال والروايات التي يرويها الناس الى يومنا هذا .

كقولهم بأن آل شكر في أيام حكمهم - مروا بعين
(بوسودون) فانتهرت إحدى العسالات بعض كلاب الصيد فعضوا
لذلك وتركوا كلابهم تأكل طفلها وتمزقه امام عينيها ! »

...

وقولهم : ان بعض مقدمي جزير ركب فرساً جوحاً وأطلق له
العنان في قرية جرجوع فانطلق به الفرس بين اشجار التين حتى
خيف على المقدم من جراء ذلك فما كان منه الا ان قبض على
فرع من الشجرة فلم يستطع الفرس بعد ان يتحرك بينما كان في
منتهى السرعة والنشاط ولم يزل عنه المقدم حتى مات تحت من
شدة الضغط ! ولم يكن الفرس له فاعتز لصاحبه بأنه فرس هجين
لا ينبغي ان يقتنى ! »

...

وقولهم عن كامل بك الاسعد يوم عاد من اسطنبول ومعه
عربة بمنازة « ان بنت الخليفة العثماني السلطان محمد رشاد قد
أهدت له هذه العربة مع خيلها قالوا ذلك وصدقوه ، على استعانة
ان يتصل مثله بمشها يومئذ ما كان بعض بينها من تقاليد الخلافة
وعنجهية الملك والسلطان ، واختلاف السن والجنس ونسب الطبع
والنشاء والمحيط ٩٩ »

...

وقولهم : (ان جيش العاملين في عهد ناصيف وظاهر العمر
كان يبلغ زهاء العشرة آلاف فارس من الابطان المجريين !)

مع ان مرسانم في وقعة البحرة والحولة لم تزد على ٣٠٠
فارس كما نص على ذلك الشيخ حيدر رضا الركيني في مذكراته
وكذلك لم تزد مرسانهم في وقعة كفر رمان على ٥٠٠ فارس
على رواية الامير حيدر وغيره من المعاصرين . . . وهما
الالف والالفين فأي هذا من المشرة آلاف ؟ وهاتان الوقعتان من
أكبر وأشهر وقائع العاملين في عهد ناصيف وظاهر العمر .

ثم انك لو احصيت الخيل في الوقائع الكبرى التي خاضها كل
من الامير فخر الدين اعبي والامير بشير الشهابي في غزوات
عظمتها وفوتها لرأيتها لم تبلغ عشرة الاف فارس عما فيهم مرسان
العاملين ١٩

وعلى فرض ان يكون مرسان العاملين عشرة آلاف فكيف ينبغي
أن يكون عدد المجموع من حملة السلاح من لا يستطيعون ان
يقوموا بنفقات الخيل ولوازمها وهم لا يكونون عادة — في كل عصر
ومصر — دون التسعين بالمائة ؟؟ (١)

...

ثم بعد كيف هذه الشائعات والاقوال اذا أصبحت مورداً

١ راجع ص ١٧١ من مجلة الكلية البيروتية م ١٠ عدد شباط سنة ١٩٢٤

للتنافس الذاتي ومصدراً للاماني الجامعة ومظهراً للتعصب الحزبي
كـهـذه الاقوال والشائعات المتساقطة التي يتواشق بها اليوم كل من
زعماء الحزبين المتعارضين في الجنوب يدعيها فريق ويكرها فريق
ويتأولها آخر ؟

أم كيف بهذه الاقوال اذا عصفت بها تراوح النفوذ بين زعيم
وزعيم وتطور الصداقة بين يوم ويوم كهذه الاقوال والسبب
الختلعة بين ما كان يقصه ويقولوه اعطاء القوائم الاستغائية سنة
١٩٤٧ بعضهم عن البعض وما اصبحوا يقصوه ويقولوه اليوم وقد
تبدلت الاحوال واصبح الاختصاص اصدقاء والاصدقاء اخصاماً الداء
يستيعهون كل شيء يوصي نعمتهم حتى اكار ما كانوا يتحدثون به
في المجالس العامة وما كانوا يقولوه اراء مكبرات الصوت وما
ملاؤا به صحف ذلك العهد من صور الاحتفالات ومصوص الخطب
والتصريحات اعمالية .

هل نظن ان السياسة كانت في الماضي اروع وارصن منها في
هذه الايام ؟؟ وهل تصور ان ساسة الامس وزعماءه كانوا اعد
بطوراً واضح منطقاً من ساسة اليوم وزعماءه ؟؟ أم هل تنقذ ان
افراد الراي العام كانوا سابقاً اوفر علماً واكثر فهماً واصدق لهجة
منهم في هذا العصر ؟؟ ليكون لهم ولهذه الشائعات التي نداولها
اغراض السياسة الحزبية وعصف بها تراوح النفوذ وتطور الصداقة
واضطراب المتقاعدین من رواتا بين عصف الذاكرة وقنادي الخيال
ليكون لهم ولها هذا المنطق العمي في وضع تاريخنا وتحرير قصايده

على ما تقره اصول البحث ، اذا نحن أحدا هذه الاخبار الشائعة
على علانها ولم نوسعها شكاً ومحنأً وتجبصاً ؟؟

وثيقة الركيني

٢

لعل هذه الوثيقة أو المدكرة غمار عن غيرها من مصادر التاريخ
العالمي بشيئين هامين ، أولهما سذاجة واضعها . . سذاجة تباعد بينه
وبين افعال الحوادث أو تلويح الحقائق والاحتيال في توجيهها
وتزيينها على أشكال توصله الى النتيجة التي يصل اليها الحادقون
المضطرون في اغراضهم وآثارهم الشخصية ونبأاً معاصرته لاكثر الحوادث
وملابسها ومدبريها .

وهي لذلك أقرب الى الصحة وحسن الظن وصدق الدلالة من
هذه المصادر المجهولة السب ، ومن هذه الوثائق التي جاءت متأخرة
عن زمن الحوادث ومن نسب من امالعة والتأويل والاذعان لحكم
الظروف المخرجة والعواطف الخائفة .

فما يرد في هذه الوثيقة مؤانئاً لما ورد في غيرها نستطيع ان نعتبره
مؤكدآ له أو موصحاً للجملة ، وما يرد مخالفاً له أو مصوراً لاشياء
وخصائص تؤدي الى نتائج غير النتائج التي ادت اليها بقية المصادر
المعروفة نستطيع ان نأخذ حجة على ضعف الدلالة وخطأ الاستنتاج
من محتوى النصوص المعاصرة ، او نعهده برهانه على ان هناك

روايات وملاحظات لم تزل في طي الكتان لم تصل اليها يد المؤرخين
او لم يجرأوا على اظهارها او اعتبارها ، اما لانهم لم يؤمنوا
بها كل الايمان او لان ظروفهم واجواءهم وتقاليدهم لا تنع
للحرية والصراحة الا بقدر معلوم يرضي ارتياح الناس لروعة المناهي
وعصاة الآباء والاجداد عن خطئ الرأي واتباع الهوى .

ولكن موطن الضعف ومحل الشك في وثيقة الركيني هذه هو في
أن عبارتها لا تشعرك بأن المؤلف قد لابس الحوادث او شاهدها
عن كذب او استقى اخبارها من الموارد الأصلية الصافية او تابع
مجرأها واستقصى اجزاءها ووصلها ، وانما تشعرك به سجل مما
وصله من الاخبار عن اي طريق اعق ولو انها كانت مشبوهة ،
وهناك موضع الخطر في الذخيرة وحسن الظن وسرعة التصديق ،
اصف الى هذا ان نصوصه في اغلب الاحيان تأتي في اصرة او
مبتورة منقطة لا تفهم منها ما يجب ان يفهم من منشأ الحوادث
او تسلسل صورها ووصولها وراثتها ، وكما تراه يجعل في اشياء
ويكت عن اشياء هي اجدر بالتوضيح والتعليل والחקم القاطع
من هذا الاستطراد الى ما يشبه السجع احيانا كما هو قد كتب
هذه المذكرات لنفسه او لابناء جيله من الذين يكتبون منها
بالاشارة لعلمهم بالاسباب والظروف وتفاصيل الحوادث وراثتها .

فاذا جاز للباحث ان يطمئن الى سذاجة المؤلف وصدق لهجته
وبساطة تعبيره فلا يجوز ان يطمئن الى صحة همه للحوادث بعابها
وظروفها وتفاصيلها ولا الى صدق معرفته لهوية المتحدثين اليه

ومقدار علمهم بالحوادث ومدى احياطهم لحقيقة ما يروونه وبقصونه
ولا يصح ان يعتقد بأن ما امله اودق عن فهمه وتعبيره
من الحوادث والحالات والملاحظات كأن لم يكن له حقيقة
ولا وجود .

إذن فاهمية هذه الوثيقة تدور مدار الدقة في وزن صوصها
وتعنى اخبارها واستنباط اسرارها ومزاياها والاحياط لما فيها وفي
غيرها من تفاوت الدلالة وتعارض السياق . وهذا امر شاق عسير
بالنسبة لمرتحمكم به الأغراض والاهواء وتحويل بينه وبين الاخلاص
لما توجبه الادلة والفرائض من شائع طريقة واحكام مغايرة لما انتفع
به الشائعات والاخبار المرسلة .

الجوهر المجرد في شرح قصيدة علي بك الاسعد

٣

لا شك بأن احدى ادر كوا عصر الاديب الفاضل الشيخ علي
السبتي او اتصوا به من علمائنا وادباءنا قد اطلعوا على كتابه
— الجوهر المجرد — او على قسم منه او سمعوا الكثير من
اخباره ووصفه وناقضوها جيلًا عن جيل على اختلاف في
الوعي والذاكرة والامانة في النقل — حتى وصلت الى كتاب
عصرنا وادبائه الذين حاولوا ان يسجروا تاريخ بلادهم على ضوء
العقل والواقع .

فكتاب السيدي إدين من الكتب التي تستوجب العناية ، والنقد عنها كمصدر للمؤرخين له اثره في تدوير احكامهم وتقويم أبحاثهم وإذا لم يتبها لنا الوقوف على أصل الكتاب ولم نستطع ان نعرفه معرفة صحيحة تامة فحسننا - لتقويمه كمصدر علمي - ان نعرف منه قصد المؤلف وعنايه من وضع الكتاب ثم الحو الذي سيعار عليه أثناء التأليف وهل كان تأليفه لعاية عديدة صرف ؟ أم ضرورة سياسية وحاجة في نفس يعقوب ؟؟ وهل كانت ظروفه أثناء العمل حرة مساعدة على الصراحة في القول والاحلاص في العمل والتجرد لرسم الحقائق بجميع فروعها وعناها والواها ؟؟ أم ان الظروف والاعتبارات قد احرقت وارهقت قلبه وخياله بمحاولات ومجاهلات لا قبل للعمل والتدريخ استريح بها ؟

ولبست معرفة هذا الحو وهذه العاية من الصعوبة بحيث يصور البعض فاه اذا لاحظنا هذه الآثار الأدبية التي تصدى العلماء والادباء لشرحها وتفسيرها ، وادركنا انهم اعدوا لشرح ما أغلقت معانيه وكثرت الغرابة والوحشية في العاصه كالمعطيات السبع ، واليهوديات السبع او لما اشتمل - مع ذلك - على حكم عالية ومثال محمولة المورد هي بحاجة الى التوضيح والتقرير كلامية العرب ، وقصورة ابن دريد ، او لما تضمن الإشارة الى كثير من الحوادث الهامة وانطوى على مبلغ من الاحكام والمطربات كرسالة ابن زيدون لولادة بنت المستكفي أو لما دق معناه وسماهه حتى صار بحاجة الى من يكشف للقارىء العادي عن أسرار البلاغة فيه ويخلص منه امودجاً لفن الربيع كما ترى في تفسير آي القرآن او ما قاربها فصاحة وبلاغة من خطب

النهم ومختارات الشعر والنثر . فانه اذا لاحظنا ذلك كله ثم رجعنا الى هذه القصيدة التي تصدى لها هذا الاديب الكبير بالشرح والتفسير ، ولاحظنا انها لا تعدو ان تكون عادية بصيغها والمأظها ومعانيها ليس فيها من هذه الخصائص والامتيازات ما يستوجب شرحاً او يدعو الى تفسير وتعليق ، فلا القاطيا وحشية ولا معانيها مغلفة ولا فيها من الامثال والحكم ولا من شبح الحوادث التاريخية وصورها الهامة ما يعز على القاريء فهمه وتصوره ولا هي من دقة البلاغة وتناهي الخيال ونوع المكنى بحيث نعتز عن ادراك اسرارها وتدقيق معناها وجهالها الا بتوجيه عالم وتأويل حبير او افتراض شاعر ألم بهذا المختار من ابائها

خبيء . هذا الحما والتفطاع	ومادا التائي والدموع هوامع
رعيت سوام اللعط في زهرة الدحي	فما بان لي للثمين مطالع
وم ادى غير الفرقدين وأحنها	العبيصا تعاطيها الرضى فتهاجع
سلو مهجتي الحرى ودمع تذييه	بعين واخرى للديار تطالع
فاسانها يرون الى ربواتكم	كأن له في الرقتين ودائع
اقب فكري بالتداني هم اجد	سيلا وداعي البين بالبعد صاعد
كوى الدهر احشائي من المجر واشي	علي يسهم او توتله التوازع
متى نلتقي يوماً بتبين عامل	ونصر هاتبك الليالي ورواجع
أنسى ليلات اديرت كزوسها	علينا واقداح السرور فواقع

نعمت صباح ربيع تبنين واغتدت
 بقولون عذالي اما آن ان يري
 تذكرت هل يجدي العواد عذلم
 الى الله كم عهد رعيت ودمه
 وكم ليلة احينها وجفوسكم
 خليلي اني كلما ذر شارق
 بك العين والآرام وعي رواتع
 فؤادك من بين الاخلاء هاجم
 وهل يصنع المحبوب ما انا صانع
 حفظت وود اخيسته الاضالع
 غريقة نوم أهنتها المضاجع
 شرقت بناء اسبلته المدامع

...

ها انا عن عهد الاقارب ممرض
 سموت بآباء كرام شعارم
 لهم شرف يسوا على هامة السهى
 هم القوم من عليا نزار وطعهم
 هم مهدوا من عامل كل صعبة
 وهم ورنوها بالصوارم والقسا
 وهم لدوي الآم ال كعبة آمن
 وهم في الوغى آساد كل كويته
 واياهم من عهد عاد شهيرة
 مناقب لا تحصى لهم وما نر
 دعوا ذمم العليا بالهمم التي
 وكم شامخ العربى اصحى مددا
 نروي القفا في يوم معتوك انقا
 وان طيب المعروف والفضل طالب
 ولا انا عن وصل الاخلاء راجع
 بناء اعالي حيث كيون ساطع
 ومجدهم فوق المجرة طالع
 ثابته البحر الرقيق القواطع
 وهم شيدوها والرياح شوارع
 وفي هم تندك منها القوارع
 وعند لها الاعداء ربح زعارع
 وفي السم جلدوى عيوت هوامع
 وفي كل عصرهم بدور طوالع
 شدا عربها في الهدد واصين ضايع
 اليها جميع العالمين خواضع
 لديها وكاس الدل والخنف جارع
 ويتارفا في هامة الضد راصع
 اشارت اليها بالاكف الاصابع

ودر امره اودی الغرور بنفسه فسبق لما قد ساءنا وهو جازع
 وجر عنان الغي منه تبختروا ورام التي منها تطير القنازع
 فكان عثورا قد كبا بفيه به وضاق به رحب الفضا وهو واسع
 ألم تعلم الاقوام اني فتى الوغى وبدر اذا ما اطم الخطب طالع
 واني من القوم الكرام ذوي العلى ليوث قراع ما لهم من يقارع
 وان دافعتهم من زمان صروقه يعاضدهم عون من الله دافع
 وفي جبهة الايام خطت مآثر لنا سطرناها في الدهور الوقائع
 وان نحن فاخرنا بآثار مجدنا فليس لنا عند الفخار منازع

ومهما قيل في وصف هذه القصيدة فهي لا تدل على معنى يصح
 الاطشنان اليه سوى ان الناظم — وهو بحكم الحياه والمال والسبب
 وهذاف المحدثين علاعب صباه من اولئك الواقفين بانفسهم والمعجبين
 بماضي آباءهم واجدادهم — رأى قصيدة المرزوق المبيهة فأعجبته ونأثر
 بها او بهذا البيت من ابياتها .

اولئك آبائي فبعثني بمثلهم اذا جمعتنا يا جرير الجامع

فأوحى له هذا الاعجاب انثلك ان يمارسها او ان يقرها وينظم
 على الوزن والقافية قصيدة يفتخر بها هذا الفخر الاحادي السادج الذي
 اعتاد المتأخرون من شعرائنا ان يقدموا به المتقدمين من شعراء
 الجاهلية كالمسؤول وابن كلثوم وغنوة ، او من شعراء الاسلام
 كالمرزوق واني فراس ، والرصي ، تقليداً لمحض التقليد لا يقصدون به
 الى حقيقة مدركة ولا الى واقع مرموق .

بها اذا امعنا في هذه الملاحظات وتدبرنا نتائجنا نستطيع ان نعرف ان المؤلف — وان غالى في مقدمة الكتاب بما يشعرك ان القصيدة تناز بجميع هذه الخصائص التي تستوجب الشرح (١) — لم يؤلف كتابه لغاية علية او ادبية صرف منها يمكن من توسعه في استعراض الحوادث والحالات وانسير ، وإنما الفه علية اخرى وفي جو خاص وضمن دائرة معينة لا يستطيع الخروج عنها الى ما يستخط حاكم القاطعة ، ورعيها المصنق ، وشاعرها احاسي . بما لا يتناسب مع معنى الحماسة من وقائع وسر وملاحظات قد تكون حديرة بان لا تسقط من حساب امور حبيب الاحرار ، ولا يسهه كذلك انهاون ضمن هذه الدائرة بما يرضي النور والاطباع وامتقائيد الاقصاعية من احاديث امهرجين وزخارف المداشيب وما عدت المتألفين ، ولو انه اعتقد — في صميمه — ان معظمها من نوبن الخيال الجامع .

ويكفي للدلالة على صحة هذه الاحتمالات ان تقرأ ما نشر ص (٧٩٦ من المرفان ١٠٠) للعلامة الشيخ محمد علي عز الدين وهو من المعاصرين لحوادث ابي احمد الكلمة على نواهة رأيهم وصدق معرفتهم .

ثم تقابله بما رواه شبيب باشا الاسعد ص ٣٩ و ٤٠ من ديوانه عن كتاب (الجوهر المجرد) هذا (٢)

(١) اطلب ديوان شبيب باشا ص ٧٠ :

(٢) راجع مع التاريخ العاملي ص ٢٠ - ٢٥ :

وحسب الباحثين اليوم ان يلاحظوا هذا الفرق بين النصين
ليدركوا مدى تفيد المؤلف بواجبات المؤرخين الاحرار ومدى
تجاوزه بها ، ثم ليعرفوا واجبهم من القصد والاحتياط والحد في
الاخذ منه والاعتماد على ما ينسب له من اقوال واحتمالات تتراوح
بها الطون والالوهام والمقائد .

مقدمة ديوان شبيب باشا الاسعد

مهما تخلف الآراء والاقوال بشأن هذه المقدمة ومنحها من الآثار
العلمية والادبية التي يتداولها القراء والباحثون . فهي لا تعدو ان
تكون .. كما يقول المؤلف « ص ١٥ من الديوان » بذرة تاريخية
تحتوي ما امكن جمعه من ذريع سبب بنه مع توحمة بعض اسلافه
اي توحمة الفرع الذي اختص به المؤلف من ابيه وعمه :

وان من يحيط علماً بهذه الظروف التي احاطت بالكاتب ويتصور
الحال الذي كان يسيطر على افكاره أثناء كتابته لهذه السدة وتأليفه
هذه المقدمة ثم يقرأها بتروا وامعان ، ... يدرك اي اثر للعاطفة
والخيال فيما كتبه وفيما قدمه لاساس من تدرج :

فان المؤلف — كما يعرف جن معاصره — انما كتب ما كتبه
في عنوان حصومه مع كاس ذلك الاسعد وفي الوقت الذي سكنت
فيه اسرته آل الصغير ، مع اكثر الاسر العالمية حول حصمه
ومعارض سياسته كاس بك

فهو — بما يتوجه من حياة صه وابيه وما يصوره من تاريخ آبائه واجداده — كن يحاول ان ينفذ سلوك القومعه ، وعذوق العثيرة له ، وتخلد الطائفة عن نصرته وتأييده ، او كن يحاول ان يبين مبلغ الاثم والخطأ في تأليبهم عليه وتجاهلهم لمكان بيته وسبه ، ومدى علمه وأدبه وما امتاز به من خصائص لم تنهيا لغيره من مساسيه على اريسة وجاحدي فصل ومعروفه جهلاً ومكابرة وحسداً .

والكي تتأكد من صحة هذه المرائم التي ازعمها فافراً ما يقوله
صفحة ٢٩٢

نخالق اوجد الاشياء من عدم	اشكو حياتكم بي با دوي رحمي
اخفيم العذر مكم في صدوركم	فكان اشهر من نار على عم
فكم وفيت وبي ختم وكنت لكم	امين عهد بغير الحفظ لم بهم
وكم رجوت صلاحاً من مراتكم	فكنت كالرجمي نوراً من الظلم
إذ قد تعودتم العذر القبيح بلا	داع وما العذر من شأني ومن شيسي
كأنكم حسداً منكم على حق	مني طوالب نار غابر ودم
وما علي ادا لم اكثرت بكم	وعن علي ورنت الحلم من قدم
لولا شقائي بتشيدي لمجدكم	لما اذقت بليل فيه لم أم
فكم لقيت بكم من شدة ولكم	لم من أجلكم بالقلب من ألم
وكم بعثت سهاداً من نخبكم	كخط عشواء لي في أيل بهم

ثم انظر صفحة ٣٢٦ الى هذا الاسلوب (العشائري) من قوله في الافتحار بنفسه وبآثر ابيه وفي التخلص من ذلك الى التعريض بمن

يتحدى جاهه ومزله .. تعريضاً يصور مدى الخصومة الغنية ومدى
الملاحاة الشديدة فيما بينهما :

قد جرتم بعدائي عند صولتكم (١) كنكم ما علمت اسي ابن جلا
واسي الاسد الصرغام والرجل الد ي اذا عد كان الاصيد البطلا
وانني ابن اب كانت مآثره فوق الثريا وعنفا قط ما نولا
وانني ابن اب كانت مناقبه نعداها لو يعد الرمل ما اكتملا
وانني ابن اب قال العلي ورقى على الاثير بآثار له وعلا
وانني ابن اب في الدهر كان له أيد طوال بها كم ابرئت عللا
وانني ابن اب بحجم الفجار به عند الكرام ليوم الحشر ما افلا
او السعود الذي كم عاد فاصده على السعادة من جدواه مشتلا
مسودد المره . والمجد الأنبل كدا وهكد فليكن او لا يكون فلا
انا ابنه المقتني نهجاً عليه مضى وغير اوصافه الفراء ما انتحلا
فيا له مفخراً انت عد في ملاه لم تلق فيه احا شك به جهلا
قل لمن رام يغزو : لي معابه لا يود الله من احشائك الغللا
مت بغيظك كم من حاسد حنق اعاب قديك منها معرفاً وقلي
وهل يلام بعيب الشمس ذو ومد وطيب الورد يؤذي عرفه الجملا

اما محديه لكامل بك او نعيده نزعاه ومقاصده فلا يمكن ان
نخصيها بقصيدة او قصيدتين من شعره ، ولكننا نستطيع ان نزع

(١) الخطاب لاحد اصدقائه

ان جل بقده له يتركز على ما تراه - صفحة ٢٩٨ في القصيدة
 الميية : و صفحة ٢١٥ في القصيدة الرائية - من معان واوصاف
 ومرام كان لها اثرها في الهدم والبناء السياسي يومئذ فانظر الى قوله
 في الميية :

عجبت ولست اعجب من ...	على خبث السريرة مستقيم
حكى الدجال بالتزويق منه	لخلق الواحد الأحد العليم
تراه يبت كالخناس شراً	وكم في الناس من عقس مقيم
هو يس ثم ويل ثم ويل	بيوم غدا لأفكك انيم
ولما حال من ذا الدهر ميلا	لمرعى مبيت الاصل الوخيم
تردا في رداء قد نبدت	علائمه على الوجه ...
وصير نفسه عمداً واضحى	بها لاولي اماوىء كارعيم
وفي ضرر العباد له ولوع	فبشم الفساد مسن السيم
يرى ذكر الادى لدوي امعالي	كعمة عود اسحاق السديم
يخيّل للعقول تخيلات	بخالها كابلوس الرجيم
اذا مر النهار بغير قال	وقيل بات في ليل السليم
يطالب - لمعاند - في حقوق	بالحاح مطالبة العريم
ويزعم انه في المجد امسى	كعاجب او زرارة في تيم
يكلف نفسه ما ليس فيها	ويحملها على الخطب الجسيم
ويظهر ان كل المين فيه	لأهل المجد والخير العيم
وهل ترجى المكلام في صفات	واخلاق من
وداما لا يكون : ومثل هذا	طلوع الشمس في الليل السيم

...

مخاصمي بلا سبب وداع ولست له بضد او خصم
ولكن حيث طينته فساد وليس عني خصامي بالمع
نسك ان يسك واسعد من اذاه سم رحمن رحيم

ثم بحث بعد ثما سائر هذه الاقوال والآراء ، من حياة
المؤلف نفسه ومن تصرفاته السياسية وبقية مشوراته الادبية ، ذلك
حين تبحث ذلك وتتصور حقيقته وتقرأ ما اورده في المقدمة على
صوه هذه الحقيقة والواقع المعنوم .. لا نستطيع — مهما جهدت او
دلفت في تاويل انصاف وتوجيه الروايات — ان نساير المؤلف في
س ما ذهب اليه من افكار وآراء طغت على معظمها العواطف
الفردية والقبيلية او ما شئت ان نعتبره من هذه العوامل التي اثرت
على مصطفه وتعبيره وادبهه عما ينحطل به من مآخذ حقة .

فاشار الى ما يقوله العلامة الشيخ محمد علي عز الدين ص ٦٦ و ١٥٣
من كتابة سوق المعادن عن اختلاف علي بك الاسعد مع تامر بك
الحسين وعن اعتقال الاول مع ابن عمه محمد بك ووفائها بدمشق ...
ثم فس عليه ما قاله الباشا في ذلك بين صفحة ١١٠ و صفحة ١١٥
من ديوانه (١) .. ثم حدث بعد ثما يمكن ان نطمئن اليه ان من
هذه الاقوال والروايات التي حلت من هذه النبذة محل القاعدة من
التشال لنطمئن — نحن — اليها ونأخذ عنها بدون تحفظ وبدون

(١) اطرب (مع لتاريخ المعالي) ص ٢٩ ٣١ :

احتياط لأثر العاصفة والخيال في صيغها وثيقف وتداولها بين
الرواة ؟؟

بقية المصادر

أما غير هؤلاء من المؤرخين والرواة العاميين الذين اصطنع اليهم
صاحب (جبل عامل في التاريخ) فاحسب ان الكلام في جنس ما
رووه لا يختلف عن الكلام في هذه الشائعات من الافوال والقصص
التي عيش بها الاليم حتى جعلتها مادة للهو والسدراد لا اراهم يتحدثون
بما تحدثوا به الا وهم يوسسون في اغلال القاييد والعادات ويستوحون
اعنف المؤثرات الحزبية او القبلية او الطائفية في تصوير ما صروه
من الحوادث والوقائع حتى التبت الحقيقة بالخيال ولم يبق للباحثين
من التاريخ سوى رموز وامارات لا تشعرك بأي احترام للواجب
العلمي ولا بأي احتياط لتحقيق الواقعة وانما تشعرك بان هناك كدماً
بالاغراب او طمعاً بالخطوة او نهراً من المسؤولية او مسابقة للاجواء
والظروف التي حسنت لهم ما حسنته من نلاعب بالالفاظ ونساج في
الحديث وإسراف في التدوين والمبالاة :

ولو أن هؤلاء الرواة والمؤرخين حافظوا على عناصر القصة والرواية
فيما حكوه وصروه في كتابتهم ثم سموا ذلك بالاسماء التي ترضيهم او
ترضي القراء كما فعلت السيدة زينب فواز حين وصفت قصتها - حسن
المواقب - لأراحوا ضميرهم واستراحوا من فضول النقاد وأصفوا العلم
والادب بوقوعهم عند حد مطوم من كلا الطرفين ..

اما ان يبيحوا لاقلامهم والستهم ما يستبيحه القصاصون من التهادي

في الخيال والافتراض ومن الاغراق في صوع التاريخ على ما يرضيهم او يرضي منه من الناس ثم يتنكروا جهدهم لمظاهر القصص وواجبانه ...
 فذلك شيء لا يقره منطق العلم ولا منطق التاريخ السياسي والادبي .
 فان المرحومة زينب دواز عندما ادكت الغربة في نفسها عواطف
 الحنين ، وطبها الاصغر وأرادت ان تعبر عن هذه العواطف وتتغنى بمجد
 ابنائه ومحاسن ارضه وسماؤه لم تحاول ان بصوغ تاريخاً يرضي هذه العواطف
 وانما علت قصصها الآثمة اذكر وصورت فيها الحياة السياسية — فيما مضى
 من تاريخ عمالة — مقبرة بأبواب مظاهر المروءة والشهم والسخوة العربية ،
 هم تجاوزت بحق التاريخ كواقع وعلم ولا بحق الادب كعاطفة وخيال ،
 فأدب لقومها وروىها بذلك اكبر خدمة . وقدمت للادب والفن ابرع
 آية على سبق العناية العاملة وتقدمها في عالم القصص .
 هذا وما يقال في نقد المصادر العامة يمكن ان يقال في بقية
 المصادر السياسية كتاريخ الصفدي والشهابي والدويهي والتنوخي وان
 تكن هذه المؤلفات في احاطتها وتفصيلها اقرب الى التاريخ والاحاث
 العلمية من المصادر والمؤلفات العاملة :

ملاحظات في الادب العامي

رسالة الشاعر

أجن ، هي رسالة الشاعر ؟ وهل فيه - على اختلاف ظروفه وتنوع ميوله - سوى ان يعبر عن حواطره وأفكاره وشعوره للطبيعة وبالحياة بكلام موزون مقفى له اثره البالغ في ايمنة على عواطف السامع ووجداء وله قوته ولباقته في استندراح القارىء الى القول بما يذهب اليه من خير او شر ، وحق او باطل ، وجد او هزل وذلك كل ما يدعي ان يراد من قولهم : الشاعر رسول الجمال : ان ليس المراد من الجمال جمال الطبيعة وجمال الواقع فان هذا النوع من الجمال لا يحتاج الى بيان او الى تعبير . وهو في تعبيره عن نفسه افصح من اي شاعر حاس يستلهم منه وينقل عنه : وانما المراد من الجمال الجمال الفني ، وهو ان يبرز الشاعر عواطفه واكاره بصورة شعرية جميلة ويعبر عنها بأسلوب بديع مؤثر ، وليس

عليه مع ذلك ان يلتزم بفكرة خاصة او مذهب معين من مذاهب
الفلسفة والاجتماع او غيرها من مذاهب الحياة التي يتوخاها النقاد
غالباً في قولهم : هن ادى الشاعر رسالته الى عصره ؟ وخاصة اذا
لاحظنا ان الشعر لغة الخيال ، وان لخيال ان يصور الاشياء كما
يشاء لا كما تشاء الحقيقة والواقع ، او قلنا بنظرية — الفن لفن —
ولم نقف بالشعر حيث يقف القادة المصلحون ومحصرو الشعور في دائرة
ضيقة لا نسمح للخيال المتخف ان يبسط جناحيه على الحياة مما فيها
من لوان وصور ، وسائر وتناس .

المقاييس الفنية

ثم إذا كانت هذه هي رسالة الشاعر كما يعرضها الخدس ويقرها الدوق العمي ، فما هو الدوق إذاً بين الشاعر الذي وفاهها حقها وأدائها خاصة لمن والحياة ، وبين من حابه الدوق وقعد به العجز عن القيام بواجب واحكام اصولها وعرونها ليكون الشعر من حيث هو كلام موزون متقن ؟ أم الشعر كما عرضه موازين الحياة الفنية

والكني احسب ان الدوق العمي ان عام وبن خاصاً لا يستسيغ الشعر ولا يعتبره الا بذلك المعنى الذي تعرضه هذه الموازين

١ - الاستقلال بالفكر والخيال والاسلوب والبعد بها

عن مظان الاقتباس والتقليد

وذلك من يتوجه الشاعر الى نفسه وان موضوعه والى بيئته الخاصة والعامة ، والى الحياة ماضيها وحاضرها ، في انتزاع صوره

الشعرية ، واشتقاق شائبه واسعاراته وامثله الشاوخة المصرة لآلان
يحاكى او يقد عيره من القدماء او المحدثين

٢ وحدة الموضوع

وذلك ان يكون الموضوع والفكرة التي يحوم حولها هي
القصيدة واحداً منها ذوات معنى اشار وعما

٣ - الدقة في تصور الموضوع وتخياله

وذلك ان يجيد به من جميع اطرافه وبواحيه ومجاوله على القراء
تخيال ضارب بديع تنعكس منه جميع خواصه واسرارته ومشتغلاته
وتتمش به ظروف الشاعر وشخصيته واضحة بجلية

٤ - بلاغة التعبير عن تلك الصورة

وذلك ان يكون الكلام على شكل لا ينسى فيه لاي من ان
مها سما دوفه الهي ان يقدم او يؤخر او يعبر او يبذل ، او يزيد
او ينقص شيئاً منه مع الاحتفاظ بالروعة الفنية والوضوح والانسجام
اي : بروعة الكلام ووضوحه وانسجامه ، وبما يقتضيه الموضوع ،
والعرض والمقام من خصائص بيانية :

٥ - انسجام السياق

وذلك ان يكون كل بيت وكل لفظ على ما يقتضيه اللفظ

السابق ويناسبه نعماء ومعنى حتى تكون القصيدة كلها كأنها جملة واحدة
تعبّر عما يمتاز به الشاعر من روح فنية ومتمو فكري

٦ - الصدق (١)

وذلك ان يقر الشاعر عاطفته بنوعها ودرجتها الى دهن القارىء
— بما يحكمه من تصوير منسج تلك العاطفة وتشخيص ملابساتها — ليرى القارىء
في الشعر ما قد رأى الشاعر نفسه اذا لو ترك هذا التصوير الذي يثير
العاصفة ويبعثها : ثم اكنمى بذكر آلاء نفسه واقراحها . فربما لا
يصدق القارىء ولا يشتر لا تارة لانه لا يرى داعيها والحاصل عليها
وانما يسمع دعاوي بلا دليل يوررها .

(١) شرح لصدق مأخوذ بتصرف عن مقال للاستاذ احمد الشايب

اختلاف الغرض من النظر

ثم اذا صح لنا ان نقف عند هذه العامة من — رسالة الشاعر — او حق لنا ان نجترى، بهذه الخلاصة من « انقيس الادبية » التي تبين فيها محل الشعر والشاعر من التفكير (الرسالة) . فهل يسمع لنا من يقرء على هذا القول من شعراء الشباب العامي بان يحسبه — بما يقدمه لنا من آثاره الفخيرة — على حدة مدائمه . دمه ودمه او على سببه ما يطمح اليه من سمو الفن وتقدير المجتمع ، مما يتوقع لرفع العين ووضع الحق في صلبه ؟ ويرجحه او يريح اسس من الاسراف في التذمر والتعجب !

واما توجه هذا السؤال الى شعراء الشباب دون غيرهم لانه اوفر واصطنع الى ان غيرهم من الشعراء العاميين قد ادى رسالته كاملة او كالسكامة لا يشوبها غير اختلاف الغرض من الشعر اليوم عن الغرض منه فيما قبل اذ لم يكن هم الشاعر وغايته من نظم الشعر الا التقييد والمحاكاة من يقدمه من اعلام الشعر في الفكر والحيل والاستوب . واد كان الشعر اذا اراد ان يمدح او يذم او

يتغزل او ان يصور افكاره ويعبر عن عواطفه على تلونها وتشعبها لا بد له من امثلة شعرية يحتذى وصور بارعة يعكسها ويولد منها آياته وقصائده ويؤلف أغامه وأناشيده فاذا اراد (مثلا) ان يتغزل نظرا او لا الى من يتأثره من المقدمين ، كيف كان يتغزل وبأي اسلوب ، فاذا رآه يبتدىء بوصف حال المحبوب ووصف مميزاتة الجنسية من طرف كحيل وخدر اسيل ونور ألى ثم يتخلص الى الاغراء والتلميق حتى يسلس له قلبه ويقتاد طوعاً او كرهاً الى هذه الحائمة التي لا بد منها في الغزل الالاهي .. اذا رآه يفعل مثل ذلك ! ابتداءً صاحبنا وتخلص وانتهى على هذا النحو العلوم . واذا رآه يبتدىء بالبحث والشكوى ونصوير اثر الحب في حياته ووقته على نفسه ثم ينتهي بالاستعطاف والعاني في ذات المحبوب والتمرد على كل عادل ولاح كان ذلك منه كذلك : وهكذا كانوا في اي موضوع وفي اية مناسبة ينظرون بها لا بد لهم من دلائل يرشدون وقائد يتقدم الى الاسلوب والخيال الذي يختارونه لعرض افكارهم وإظهار مجاملاتهم وعواطفهم وانما الجواد الجواد منهم من كان يستطيع ان يجري في مصاف قادته وأدلائه او كان يوسع ان يسبقهم او يستقل عنهم في بيت او آيات يحتذى من اخلاف المواضع والظروف وتفاوت الاذواق والافكار

الادلة على ان الغرض من الشعر هو التقليد

ولست في حاجة الى اقامة الدليل على مثل هذا الزعم فالادلة

كثيرة متنوعة ومطرة بسيطة الى الآثار الادبية الباقية كدواوين
 آل بجيى وآل الامين وآل فضل الله وآل مروه وآل شمس الدين
 ثم مطرة اخرى الى اثر من قدمهم كآبي عام واليعقوبي واستبي
 والرصي ومهيار وشعراء الاعاني ومعاهد النحويين والسلافة يتضح لك
 واقع الامر وينكشف العطاء عن تلك الصفة الثمينة والتشاهد القوي
 بين الاساليب وبين الاحياء والصور ورنما كتب عن شيء من الخلق
 اذا قدمت بين الكثير من معرذات المعاني والالفاظ حتى في المواضيع
 الشعرية الجديدة التي لم يطورها غيرهم من المتقدمين

النماذج الشعرية

واليت شاهد على ذلك هذه النظم الشعرية لشاعر كبير من
 شعرائهم المأخوذ ارد ان بعض تراجم في مواضيع الجديدة ويصف
 القطار فاداه يصف الناقة :

تجاري وانكر في يد السيف	ر مختار حبة الاكار
مشقب لجليد حنين ولسا	ت فخر صعد صعداً بصعاري
نزعها رمان اي سهم	مرت يعنى معوق الاوتار
مارفا في حشاشة اليد تكبر	لمع عله لحة الأبرار
بست بر لا فارض وعوا	هي دكر من اعظم الابكار
شأت دات صبيوة وغرم	يعاق الغلا ووجع انفار
واستناطت نعطاً وريراً	ومعت لصدى فصا الأقطار

فانظر اليها على ما بها من قوة السبك ومثانة الاسلوب وصفاء
 الديباجة هل ترى بعد تجريدنا من هذا العنوان او من هذه الجملة
 مشقت للحديد حطين (غير وصف عام من اوصاف الناقة على
 ما كان يصف به المتقدمون من اعراب البادية والصاردين على وثيرتهم
 من المتأخرين .

ثم انظر الى هذه القطعة التي اراد بها وصف البخرة

كل زجهب كحبد ودفع	مارج في فؤادها من سر
فتحت للخصم عيساً وموت	بين احكامها خيسان ساري
تختر اليم في جبايح صدر	فترى اذها حوها كالواري (١)
كلما اثلعت مباحير موج	بحرتها بكلكل يتار ...
وادا الريح جعلت وفرات	الغمر عن نعي حمود الفار
تتحطى ما كب اللجج الشم	على طولها بأيد قصار
هي عجزاً قواً وعمقاً سما	وجاحاً قمع وصوتاً فاري
بنت بحر تخلقت من سعديه	علقي حلاعة ووقار
فهي ارسى اذا رصى من ثمر	يس يدرى جرت ام الماء جار
ودوان تحتال بهاً ورفصا	رفق تصفيق موجه التيمار
فاداصوبت تعصى لتخوم الارض	او صعدت نحك الدواري

أفلا ترى وانت تقرأ هذه الابيت ان هذه المعاني التي حشدتها

(١) لاحظ هنا قول مسلم في وصف القنك .

لضمت بحديها الحبيب فاصبحت موقفه اذات مرثومه المصدر

هي بسببها دناقة اروع واصدق منها بسببها لفلک وخصوصاً اذا
جاز لنا ان سدل هذه الالفاظ التي حررت بها معاني الناقة لتكون
وصفاً لفلک او جاز لنا ان نضع :

(السراب) مكان (الحضم) في البيت الثاني

و (الأملق) مكان (اليم) و (الآل) مكان (الماء) في البيت
الثالث

و (الحقف) مكان (الموح) و (بوخدها) مكان (بكلكل)
في البيت الرابع

و (القعر) مكان (العمر) في البيت الخامس

و (القنن) مكان (اللجع) في البيت السادس

و (البر) مكان (البحر) في البيت الثامن

و (شيخه والغار) مكان (موجه التيار) في البيت العاشر

ثم ما لفظ (اتلعت) وما كلمة (الماحير) وما كلمة (النحر)
وما كلمة (الكلكن) في قوله :

كلما اتلعت مناخير موج نحرنا بكلكل نثار

وهل هي الا من خصائص الناقة .. وكذلك تتخطى بأيد قصار
في قوله :

تحتل مناكب النجم على طولها بأبد قصار

وكذلك (الرج) و (والحذب) والدفع في قوله (كلا زجها
يجذب ودفع) ثم (التيه والرقص والاختيال) في قوله (وأوياً
تختال تيه ورقصا)

...

وعلى هذا النحو يستطيع الباحث المدقق ان يضي في استعراض
هذه القصيدة ارائة من اوها الى آخرها فلا يجد فيها اثر للعربة
والاستقلال الا بما شذ من آيات قسبة افترضها على الشاعر افتراضاً
اختلاف الموضوع وتعاير الظروف ، ولذلك لم يكن فيها كشاعر
ملهم منيقظ الفكر منوئب الخيال و... كان كحدث عادي يقن
اليك ما يراه بأبصر صوره والسند مضاهره او يحمل عيه صوراً
منكفة مصطنعة لا سابعها الدوق العتي ولا يفرضها طبيعة الموضوع
والحقيقة ارجيه في الحيات ، ثم بعد هذا كله من نفسك عن السبب
الاول واهم الوحيدة في ذلك ما هي ... أنقص في فطرة الشاعر
ام ضعف في مكانه العية ... ام قصور في لغته وبيانه ... كلا
وانما هو محض التقيد ... او سل بيته العامة والخاصة وثقافته العاملية
والنجمية وما فطر عليه ابيه ذلك الجيل من تقديس الاجداد والتعبد
بأمثال قولهم (هل عادر الشعراء من مئودم) تجك هذه كتبها
مختلفة مؤتلفة بأفصح بيان واصدق حجة انه التقيد والتقليد الطبيعي
في هذه الطبقة من شعرائنا .

التخميس والمعارضة

وما يؤكد لنا ذلك الرعم ما كانوا عليه من افتنان بالتخميس
والتشطير والمعارضة وما اشبه ذلك من الاساليب التي يدور بها النظم
حول غيره من الشعراء ويتأثر خطمهم حظوة حظوة ، فقد كان
الشاعر منهم الى الامس القريب يترقب فرصة للنظم بظهور قصيدة
او بالعثور على ابيات تثير اعجابه او تبعث بفته ليشطرها او يخمسها
او يعارضها وما عهدنا بالقصيدة الافريقية

مهلا عى رسلك حادي الايق ولا فكلفها بما لم تطق

او بخالية بطرس كرامة :

امن خدحا الوردي افسك الحال فصح من الاجمان مدممك الحال

او بموشحات السيد محمد سعيد جبوني او بقصيدة ابي الحسن
الحصري :

يا ليل الصب متى غده اقيام الساعة موعده

وما عهدنا بهذه القصائد والموشحات وبما حسنه لشعرائنا من
التلاعب بمعانيها والعاظها بعيد عن الذهن . وقد نابق في معارضتها
اكثر من شاعر من شعرائنا الكبار كالشيخ ابراهيم صادق والشيخ محمد
حسين شمس الدين والسيد عبد الحين نور الدين

طرائقهم في النقد والجدل

وقد يكون اشد تأكيداً وواضح دلالة على مذاهب الادباء في ذلك العهد ، طرائقهم في الجدل وتمييز صحيح الشعر من فاسده تلك الطرائق التي اوشكت ان تنتهي في قولها الفصل الى المقارنة بين قديم الشعر وحديثه ، وما كان له مبرر ومثبه من القديم اقروه وصوبوه وما لم يكن له شيء من هذه المبررات شكوا في صوابه او لج بهم الجلود الى طرحه وانتباهه

واليك شاهداً على ذلك ، ما يرويه القناع من اختلاف العلامتين السيد علي محمود الامين والشيخ عبد الحين صادق في شأن العلامة السيد محمد نور الدين على بيت من الشعر يدعو به الشاعر آل الفقيه ان ينكسوا الهام وينفضوا الاكف يأساً من المجد والفخار بعد فقدهم ، ومن ان الحجة المعتبرة والكلمة الموسوعة بين ذلك الحفل المكتط بالافاضل من اهل العلم والادب انما كانت للذي استطاع ان يشهد على جواز ذلك المعنى وصحته من الشعر القديم بمثل قول مهيأ :

اقريش لا لهم اراك ولا يد	فتواكلي غاض الندى وخلي الندي
حولت فالتفتي بأوقص واسألي	من بزّ ظهرك وانطري من أرمدي
وهبي الذحول فست رائد حاجة	تقضى بظُرور ولا يهندي
خلاك ذو الحسين أنقاضا متى	تجذب على ظهر المذلة تنقصد

قر الدنيا اضحت سماؤك بعده ارضا نداس محائر وبهتدي
فاذا تشادت الحصور فلبجي واذا تصادمت الكماة فعردى

أما الاعتداد بالذوق الفني ومراعاة المقام وانه مقام تعزية ورفق
وتكريم لا يليق فيه من شاعر حساس ان يتعرض للعزى من آل
الفقيد بما يصعب رجاءهم ويقتل من هيبتهم ويجردهم من كل كفاءة
بدلاً من ان يحقق لهم بخياله جواً قسيماً واسعاً من الاحلام
والاماني المتعة ، وعلاً سامياً مرموفاً من الثقة بمستقبلهم والاطمئنان
الى حزمهم وشايطهم ، اما ذلك وأمثال ذلك فم يكن له من نفوس
الحاضرين اى عناية او اى التفات .

ولعل هذا الاطمئنان الى كل ما استباحه المتقدمون في الشعر ..
هو الذي حسن لهم هذا القول من الشيخ ابراهيم صادق في مدح
الأمام (ع) على ما فيه من تمحل واعراق ونجواز للحدود
الطبيعية من اوصاف البشر

عجباً فنى كل ربع انه للرفضى مولى البرية مربع
ووجوده وسع الوجود وهل خلا في عالم الامكان منه موضع ؟

وفد يصح هذا التمحل والاغراق من دلائل الاعجاز بنظرهم
ما داموا يجدون له مبرراً ومشبهاً من آثار المتقدمين وما دام هذا
المبرر والمشبه ينحط عنه سلامة وانسجاماً وغلواً ، كما ينحط

قول النبي :

الا ايها القيل المقيم بمنح
أليس عجيباً ان وصفك معجز
والك في ثوب وصدرك فيكما
وقلبك في الدنيا ولو دخلت بنا
وممنه فوق السماكين نضع
وان ظنوني في معاليك تطلع ؟
على انه من ساحة الارض اوسع !
وبالجن فيه ما درت كيف ترجع !

الوحدة والانسجام

في الشعر العاملي (١)

.. كان لابن جني هوى بأبي الطيب وكان كثير الإعجاب
بشعره وقد شرحه شرحاً مطولاً وكان يسوءه اطناب أبي علي الفارسي
في الطعن عليه : وما اتفق أن اجتماعاً يوماً وقال أبو علي « اذكروا
لنا بيتاً في الشعر بحث فيه » حتى ابتدره ابن جني واشد :

حلت دون المزار فالיום لو زرت لحال النحول دون العناق

فاستعسبه أبو علي واستعاده وقال : لمن هذا البيت فانه غريب
امعنى فقال له ابن جني هو للدي يقول :

ازورهم وسراد الليل يشمع بي وانثي وبياض الصبح يغري بي

(١) المرقان سنة ٩٣٦ م ٢٧

فقال والله وهذا احسن فلمن هو ؟ قال الذي يقول :
امضى ارادته سوف له قدر واستعرب الافصى فثم له هنا

فكثر اعجاب ابي علي واستعرب معناه وقال لمن هذا ؟ فقال
للذي قال :

ووضع الندي في موضع السيف في العلي
مضر كوضع السيف في موضع الندي

فقال هذا والله احسن ولقد اطلت يا ابا الفتح من هذا القائن ؟
قال ابن جني : هو الذي لا يزال الشيخ يقتل طم ويطمع زبه
وفعله وما عني من القشور اذا استقام اللباب ؟

قال ابو علي : اظنك نعي المنبي ؟ قال نعم ، فقال : والله لقد
حببته الي ونمض ودخل على عضد الدولة فاطال في الشاء على ابي
الطيب ولما اجناز به استنزه اليه واستنشدته وكتب عنه ابيانا
من شعره .

لاحظ هذه المجاورة ولاحظ قول ابي علي : اذكروا لنا بيتاً
من الشعر نبعث فيه : او لاحظ هذا الاصوب ادي استدرجه به
ابن جني حتى حبب اليه المنبي وجعله يعترف بشاعريته وتفوقه ،
وكيف ان ابن جني اكتفى لاقتناعه واستشارة اعجابه بذكر بيت
من كل قصيدة

لاحظ كل ذلك تران القاد المتقدمين لم يكونوا ليوجهاوا نظرهم

الى روح القصيدة وفكرتها العامة او لينظروا الى الشعر قصيدة
قصيدة ، وانما كانوا يسطرون اليه بيتا بيتا ويكتفون لدلالة على
شاعرية الشاعر منهم بيت او ابيات محتفلات قالها الشاعر في اغراض
مختلفة وقوافٍ متعددة كما قد اتفق لان جي مع ابي عبي العارسي
في هذه الرواية

ولناظم الذي كان يوفق في شعره الى بيت او ابيات ثلاث
دوق انتقد الحاص وتمثل عاطفته او عقيدته بعض التمثيل ، هو بغير
شك الشاعر العد بطر البافد . وليس عليه بعد ان يلاحظ معرض
ذلك اليت من القصيدة او مقتضاه من سياق الكلام ، او تناسبه
مع العرض والموقف الذي تعرضه الظروف الخاصة على الشاعر او
كروه من وحي الشعور والمخالفة او من وحي اذاكرة والحافظة ، ما
دام قد بلغ بذلك مؤله .

وعلى هذا النحو كاد ان يدرج الادباء العالميون او درجوا في
ملاحظاتهم وانتقاداتهم « بان النقد عندهم ما ابعك يقتصر على اللمط
المفرد او المعنى الجرنبي ويعتمد على الذوق والسليقة الساذجة او على
التأثر والافعال بغير شرح او تعليل او رجوع الى قواعد مقررة »
وانهم ما يروحوا يسطرون الى شعر الشاعر منهم بيتا بيتا ولا ينظرون
اليه قطعة قطعة ، او يلاحظون الوحدة في القصيدة والانسجام في
السياق ، والصدق في الشعور والاحساس ، فالقصيدة مهما كانت متعددة
الاغراض مضطربة الخيال حقيية المنطق بموهة العواطف ، ممكنة
الاحوال ، هي - في عرهم - قصيدة ما دامت تشتمل على بيت او

أبيات فيها شيء من زخارف البديع وشيء من خيال المحازم والتشبيه والاستعارة الذي ينتهي أقصى مداه في البيت والبيتين والثلاثة ، والشعر عندهم صحيح معتبر ما دامت تجميعه وحدة اللون والقافية ، وموافقة القياس الصرفي والنحوي . وهذا الاعتبار كثرت عندهم أسماء الشعراء وصحّ لديهم أكثر الأشعار المروية . أما الخيال العام الذي تنجلي به الصورة الفنية لموضوع الشاعر وعرضه وتنظم به أشنات القصيدة حتى تصبح كلها كأنها حمة واحدة . وأما المطلق والانسجام الفني الذي يستدرج به القارئ ويحمله على الاقتناع بجمال تلك الصور وصواب فكرتها أما ذلك وامثال ذلك ، فربما كان لا لزوم له عندهم بعد الذي يظفرون به بما قد أقره المتقدمون واكتفوا به من محاسن البديع ومشخصات البيان

وانت إذا أردت أن تمحص الشعر العاملي على ضوء هذه النظرية نظرية الوحدة والانسجام فقلما تجد فيه ما يثبت على النقد حتى المنسوب منه إلى المشاهير من شعرائنا ، فكيف ترى من اضطراب ودوران واقتحام وتفكك في المعاني والألفاظ في بحر الشعر المنسوب إلى هؤلاء وبطيرة بسيطة إلى ما يشتمل عليه ذلك الشعر من العلل والأمراض الفنية تكفي للشك في سلامته وتكامل نشوئه

واليك هذه القطعة المختارة التي سمعت الأستاذ الحوماني يرددها في مجالس عديدة قبل أن ينشرها في مجلة العروان سنة ١٩٢٧ ثم في الطبعة الأولى من ديوانه الأول ثم يصدر بها مجلة العروبة سنة ١٩٣٤ فانظر إلى أبياتها بيتاً بيتاً ترى أن أقصى مهي الشاعر في أول بيت

منها حية شامية بعيدة ما بين المقبل والسحر ! اي طويلة العنق (١)

(١) من الشام لا جنات عدن اريدها

بعيدة ما بين المقبل والسحر

ثم تراه بعد بطوي في البيت الثاني نك المراحل التي تكون
عادة ما بين تمي الحب وبين الحب الواقع ، من تحر ونوسل ومصادفات
وافتراضات معربة ، ويعاينك انه احب - متواصلاً او مقتحراً -
محبوبة هزيلة غير سميكة نخوس الخلي في يديها ورجليه ورصينة تقية
او جامدة بليدة لا تقيم لها حتى نشوة الخمر !

(٢) كذبت بها لم نخوس الحلي جايا

عليها ولا مالت بها نشوة الخمر

ثم يطوي كذبت ، من الشعة التي تكون ما بين دور
الحب وآخره من قرب وبعد ، ومخوى وعباب وتجن الى غير ذلك
من مقتضيات الحب وملامسه التي يمكن بعد ذلك ان يرد بها غيبه
وملامه ، ويظهر بك نوا الى العتاب والتفريع

(٣) احب قرأت السحر تمي فتوه

علي جفون منك تبث بالسحر

(١) وفي ديوان الحماسة لابي تمام يقول :

اكلت دماً ان لم اذعك صرة بعيدة موى القرط طيبة الشر

(٤) نعت كأن لم يكن من روضة الهوى

كلانا وما وافق متوه على العشر

ويعرض عابه هذا كما لو انه امي عليك تاريخ حياته العرامية
ورسم لك جميع مراحها ودفائنها - ويلاحظ هنا - من تعيق
الفور في البيت الرابع على ما في البيت الثالث ان الحب كان
مخافة من حدة نظر وان الفور كان على الأثر : ولكن في
تعمق النور بها بحجم بعده من الكلام ما ينقض ذلك ويدل دلالة
صرحة على ان الحب كان يسها طوبى ادى بحسب الاطوار !!
ثم يطوي كدك ما يكون بين مرحتي العتاب والندم من
انكسار واضطراب ، فدهول ، ودمود ، فاسباه ، فتفكير ،
فمقة ، فسلوة ، وينتقل بك (حمة ورشافة) الى الدم بدون مرور
يسر هذا الانتقاء السريع سوى واو العطف - لو جاز ان
يكون مبرراً - وذلك في قوله

(٥) وأدميت حتى ناحدي على هوى

جنيت به زهر الشيبة من محري

هذا الواو الذي عطف به (دمي) على (مريت) في ادب
اسبق بدون ادى مناسبة او علاقة تربط بينهما
ثم اطر اليه بعد ذلك الدم الشديد على ما فرط في الحب
والهوى كيف يرجع القهقري في حينه لأراه جلق

(٦) احزن ذلي آرام جلق والهوى

يمثلها بين الحواج والصدر

ثم كيف يتحول بعدها وينسنى الوصول إلى جلق لا إلى
الآرام التي هن إليها :

(٧) ألا هل اراني بعد عام ونيف
أباكرها غناء بأسة الثغر

ثم كيف ينتقل ذلك هورا إلى التبعج الفارغ بوطيته وسهره
على الشرق ومرافقة حوادثه وتصريف أموره كما لو كان من أبطال
النهضة العربية والشرقية يضطلع بها اضطلع به فيصل وسعد وغاندي :

(٨) شئت حياتي فيك يا شرق ساهراً
عليك أما يرجى لصبحك من فجر

ويطلق هذا البيت كأن قد صور لنا فيما مر من أحيائه سلسلة
حياته في الجهاد ومكابدة الأهوال : ومكافحة الاستعمار ونأديب
الخنوة والجواسيس ولم يبق عليه إلا ان يطلق هذه الزمرة الحارة !

ثم انظر إليه كيف يطمر بالفارسي اعتباراً إلى ذلك الاستفهام
النابي الذي يستفهم به عن شذا النسيم

(٩) اظنك من روض الشام بعثت لي
شذى المسك يرويه نسيك إذ يسري

ثم إلى هذا اسطق المؤثر ! من انه لو لم يكن هذا النسيم من
جلق لم يمزج به شعره ويتحننا بهذا المعجون الغريب الطعم !

(١٠) ولو لم تكن من روض جلق باعثاً
نسيك لم امزج برقنه شعري

أرأيت كيف يريد أن يثبت لنا رقة شعره بهذا القياس الموه
والكناية العبيدة الحاطة ويحملها قسراً على احترام ذلك النوع من
الاشكال البسطائية الفارعة او على الاقتناع بصحة نتائجها

ثم بعد هل نرى في هذه القطعة من خيال يؤلف بين صورها
المتناكرة او من فكرة تجمع بين اعضاء المندابرة لشدة او من
منطق يقنع الفارئ بما يذهب اليه الشاعر من عابة ودعوى من وجد
ام كل ما هناك من مزوغة واييات ممكنة لا يتصل بعضها
ببعض او يتوهم عن شعور صادق وعواصف صحيحة

وعاية ما في الأمر ان ادنا المحترم (عز على باله) ان
يعزل كما ينزل الناس واران ان ينظم فنظم هذه القصيدة كما
ينظم المتمولون عادة ولو لم يكن هناك غرام ولو لم يكن حب .
ولكنه مع الاسف لم يوفق فيها الى ما يوفق اليه الشعراء والمهولون
من ابناء - كيوييد - او الذي يوايهم الفن ويهينهم على وصف
عواطف الغير التي يحسون معرفتها ويرغسون في تصوير ملاساتها
ودونقها ولو لم يشعروا بها وبجدوها في قرارة نوسهم لذلك لم
يسلم من ان يضرب اضطراب اشكاليين في اخذ لاق الصور
واضطباع المواقف ، كما هو الشأن في عب شعرائنا من الشباب
المحصرين في شنتهم الادبية ، حتى اوشكوا ان يكونوا في حال
تاثرهم غير قادرين على تصوير عواصفهم بالصورة الفنية الصحيحة بدون
ان يخذلوا لهم عودجا يحكوه ومثالا يسبحون على منواله .

هذا ولعل الفارئ إذا طرأ على تلك القصيدة من سبب

بدوي الجبل :

أحببتها ساخرة كالرؤى	مبهمة غامضة كالظنون
مجنونة والحسن لم يكتمل	فتنته إلا ببعض الحنون
طروبة صاحكة كالصبا	كثيبة فاقمة كالنون
اليأس في أجفائها والى	والصحك في أحباها والآن
وخفة الأيام في طعمها	لكر بعينها وفار الزين

ورأى كيف ان البدوي عمد إلى مثل حبيته الذي يستهوي
قلبه فصوره بأربع صورة ثم كيف اعطف محوها يستدرجها ويناجيها
بأرق المعاني وأسمى الصفات الروحية بعد ان تختص من المقام
الاول ووقفه حقه :

يا صورة ابدع تكوينها	في مطلع المعجزة له العيون
ونعمة من بعض أحباها	من الليالي واربعاش العيون
ودعة لله عطرية	بذية حياها اليأسين

ثم كيف لاذ بها يستعطفها ويسألها ان لا تنكر عليه الحب
وشهود حاله التي اوردها على امن مثل شعري وابلع لهجة موسيقية
مؤثرة :

لا تنكري حبك لي اسي	استشهد الربحمان والياشين
والنهر اد تنظر امواجه	لا استحي منها ولا تنجسين
والايكة الخضراء إذ ابصرت	تدأل الحسن الشهي اصون
وقبله مجنونة في اللى	وقبله وادعة في الجبين
وقبله حمراء مثل اللص	وقبله بيضاء مثل اليقين

لعله اذا نظر الى ذلك يعرف هنالك قيمة الصورة التي يهواها
شاعريا العالمى ويطمح الى ان يحلوها لنا في شعره ، ثم مبلغ
الصدق في ذلك الحب ومحل العتاب واسلوب التقريع في
هذا البيان .

ثم يعرف بعد هذا كله أي فرق هناك بين الشكى والمستأجرة
او بين الشاعرية الخفة المؤثرة والشاعرية المتكسفة المموهة بالالفاظ
والنقوش ١٩

العواطف المصطنعة^(١)

ربما كان الشاعر غريباً عن محيطه ومجتمعه في افكاره واحيلته وهواجه ، أما ان يكون غريباً عنه بعواضه وميوله فذلك مما يستغرب وقوعه عادة لان العواطف الصحيحة من حب وكره وسخط ورضا وما الى ذلك انما تنشأ وتتحرك وتكيف على حسب عواطف المجتمع وطروف البيئة . ولهذا يرى ان ما يصبو اليه المدي - مثلاً - ويتأثر به من مظاهر الطبيعة والحياة قد يحسب كثيراً مما يصبو اليه القروي من ذلك ، وربما كان ما يصبو اليه احدهما ويعجب به هو من النواحي لدى الآخر ، وكان المسدل هنا ددرأ هناك والبادر هناك من المبتذلات هنا التي لا شعر بصيبتها ولا يوثق بجهاها او يتأثر لمرآها ، اد ان الابدال من شأنه ان يطمس ما في الاشياء من روعة وحال ويضمم من اثرها على الحس والعاطفة ولا يبقى لها من غرابة

(١) مجلة الامامي ٩٣٩

المظهر ودهشة مفاجأة وعوامل التعجب ما يكون عادة للأشياء
العزيزة النادرة .

لذلك لا احسني مسرها اذا ما ارتبت بصدق بعض هذه
العواطف التي يفترضها شعراؤنا المتجددون نحو تلك الموضوعات
الجديدة ، كالعليقة ، لأبي ماضي ، واوراق الحريف لغصوب ، والفراشة
الحضراء لشرارة ، وما الى ذلك من العاوين الجديدة التي يطفح بها
الادب العربي ، وليس لها هذا الاتصال بما يشغل افكارنا من مناحي
الحياة الحديثة ولا مما يضغط على عواطفنا من مآرقها الاجتماعية والنفسية
او يأخذ علينا كل سبيل من ازماتها السياسية والاقتصادية والروحية ،
لا يتبدل هذه الاشياء وهوانها في محيطها وغرابتها مما تتأثر به
وتستوحى من احوالنا وآدابنا ومجتمعاتنا وثقافتنا العربية ، وكوننا
لم نبلغ بعد من القوة والثروة والاطمئنان الى الحياة الحرة ما يسو
بما عما نصطدم به من ضروريات ومهول من لياقات لنخطئ ذلك
ونفرع منه الى مثل هذه الكماليات اللاهية ، خلاف اشعراء العربيين
فان اصراهم الى مثل هذه الموضوعات لا يتناهى مع ظروفهم
ووضعهم ومكان يعيشهم من الحصار والترو في الحرية والثقافة
والعمران ، وبعدها عن الارباب والمراوغ التي يتبدل فيها مثل هذه
الحشرات والنباتات المتبدلة في بيتنا ومحيطنا

وما يعزز شككي بمثل هذه العواطف التي يفترضها شعراؤنا
المتجددون او يتكلمونها ، اهم حين يشرعون بتصوير الموضوع على
هذا النحو الغريب عن عواطفنا الريفية مرعان ما يتحولون عنه الى

تصوير ما يتأثرون به من حالات او يصطنعونه من مذاهب التشاؤم والتهاؤل او ما اشبه ذلك من الانجذافات التي ليس لها هذه العلاقة المثينة بموضوعهم ولا ثبوتهم الشعري والاستطراد الى ما ينبو عن مقتضى انقام والموضوع هو كما لا يخفي — دليل على عدم التأثر به او على كذب العاصفة محوه ما دام الصدق يوجب على الشاعر تصوير بواعث العاطفة ونقل ملامحتها لا ما يسبو عن ذلك وينابهه .

العليقه

لا اخل ان شاعر الحياة الاستاد ايليا ابا ماضي يسكر على ان الجو الطبيعي للحياة انا بنهاً ويتسق مع الحياة بوحيه وإهامه أزاء خطر مذاهم او عدو متعطرس او على اثر الحود لما ستشعره في هوسنا من قوة وحياة وفي ارواحنا من سمو وعبقريه ، لا على اثر الاصطدام بشوكة والحرف على الثياب من النعيش كما يبدو من الحماسة على اثر قوله في العليقه :

صنت عنها "حر" وجهي	فتصدت لثيابي
كلما أفلت من ناب	تلقنني بناب

لذلك استمع العدر منه اذا ما اضطرت لها الى الشك بصدق عاطفته نحو العليقه او بصدق عاطفته في الحماسة ، فان الصدق في عاطفته نحو العليقه كان يقضي عليه ان يصي في وصفها الى الآخر او يستطرد

— اذا اضطره الامر الى ما ينسب اوصافها من حالات ويتفق مع مقتضاها من شعور ، لا الى حماة الواثق بحوها وطولها او استعطف الخائف على حياته من خطرهما ، فانه معها افترضنا للعليقة من اوصاف واعتبارات ولا يمكن ان يفترض لها صورة صحيحة تشعره بالخطر المهدد لحياتنا والاستعطف العاثر بكرامتنا ثم نقضي علينا بان نتعس ازاءها او نستعطف قوتها وجبروتها عليها فنهنا ان نقضي وحراً من الحياة او نسنفد كل ما في دن انفسنا من شراب .

وكذلك الامر في صدق عاصفته الحماسية فان صدق الحماسة يفرض عليه الا بحسب كل هذا الحباب للعليقة والا يتوهم ان في كيانها كل هذا الحول والطول لينتجى به غير موجب الى هذا الاستعطف الذي يدعو بالشك بصدق حماسه واعتداده بنفسه لان من يعتد بنفسه لا يحس به امام القوى الوهمية التي يفترضها بعليقه بجذسه (لا بشعره) ان يخضع لها ويخضع مثل قوله :

اما للارض وان طال	عن الارض اعترابي
غير اني لم يزل ضرمي	لمري واحنلاب
فاداً استنفدت ما في	دن نفسي من شراب
فاحديني ان يكن	مني نفع للتراب

اجل ما عسى ان تكون العليقة وهل هي غير شوكة او نوع من انواع النباتات الشائكة التي يعث بها الاطفال متى شاؤوا

ويطيرونها رماداً يعود من الكبريت ؟! هل هي غير ذلك ؟ ليليق
بالشاعر المتحمس المتعاش ان يقف منها موقف المستم لبطشها
واقترارها ، الحائف على حياته من خطرها ، كأنا قد رمته التقادير
امام مارد جبار او في عرى لث صار ؟

وخلاصة القول ان ما اثبتته شاعرنا هناك من اوصاف العليقة
وخصائصها لا يوجب هذه الحماسة او هذا الاستعطاف والجزع حيالها
وان هذه الحماسة وهذا الاستعطاف والخوف لا يتناسب مع ما صورته
من اوصاف العليقة .

وعلى ذلك لا يمكن ان يكون قد تناولها بعاطفة واحدة في
صدقها لدى انقامين الوصفي والحماسي لان العاطفة الصادقة نحو
الموضوع الواحد تقضي بتناسب كل ما ينظر فيه الشاعر من الخواطر
والصور المختلفة واسجام ذلك كله في بناء الصورة العامة وضبط
السياق واحكام الوحدة . ولا سيما اذا قلنا بان الشاعر رسول الجمال .
وان جمال الاشياء في تناسبها واسجامها . اد من اولى من الشاعر
— المفروض فيه دقة الملاحظة ولطف الاحساس والدوق — ان
تناسب مما يه وتتناسب الفاظه وايانه وصوره ومواقفه في القصيدة
الواحدة لينسق له من هذا التناسب والاسجام صورة صحيحة للجمال
الغني تم عن صدق العاطفة وسمو الدوق واستقامة الفكر والمنطق .

اوراق الخريف

عندما نبحث ديوان القديس المهجور لأول مرة شرعت انصفح
 الفناويد واتخطى ما ليس له في عسي هذا الاثر البسيط الى ان
 اوقعتني هذا العنوان الغريب عما يمارسه شعراؤه من افكار وموضوعات
 وحالات وأهـاب بي الى استطلاع ما يرسمه الشاعر اللبناني بازائه من
 صور ويستخرجه في طلائه من عو، ولكن قبل ان اهم بالقراءة
 همت بي وساوس - الفصول - الى عوالم من التخيل رحة وهجـاح
 من التفكير بعيدة فنصورت ، فما نصورت ، ما يكون لهذه الاوراق
 في بدايتها من منظر هيج ومظهر أخادع يتراوح عليها وينحـالها من
 زهر وثر ، وحضرة واحـصـال ، ورويق وحلال ثم تأملت ما تؤول
 اليه في نهايتها من حشوة ونحول ، وفوضى واحـداراب ، ونداع وهوان
 ثم ألفت من مراحل هذا التطور مثلاً ثانفا في الحياة ومقياسا عاما
 لنواميسها وبحراها في كل شيء حتى اذا بلغ بي المطاف الى دور
 الاشاد والقراءة اقيمت اسـحـبي بداع من الحق والاحترام رأي الشاعر
 ووحيه الخاص ، نادا به مضطرب في امره حائر في هذه الفصيدة بين
 ان يوفي الموضوع حقه وبين ان يوفي عواصمه حقا ، وادا بهذه الحيرة
 نصطره الى تكلف الاستطراد ونكلف الرجوع الى الموضوع اكثر
 من مرة كما ترى في قوله :

فكأنهم - اي اوراق الخريف - اذا جفـض جواحي
 وحفيـفـن كأنه زماني

زفرات مصدور تقارب يومه فحياته معدودة الساعات
 وحـم الطيب وقد تبين داهه ومضى يخاف تساؤل الهطحات
 هيات ما كم الطيب فانه ناد بعين الام والاحوات
 يسبح دمع العين كنها لـحوى ورى خطوط الدمع في الوجـات
 لا تنسكي يا ام دمعك واسكبي فالقس قد بلغت الى اللـوات
 وسأري يا خافقات في اهوى هـيـانكن قصيرة كـحياتي

وهكذا دواليك الى ان تنجلي المعركة ونتهي القصيدة واداه
 انما يصور حياته الخاصة ويشرح شأونه وبؤسه ، واداه لموضوع لا
 محل له من خيال الشاعر والمحـمه الا بمقدار حاجته الى التشابيه
 الشارحة لمفسرة التي تكاد تلاحس في هذه الابيات القائمة من مجموع
 القصيدة بقاء الاكواع من الطريق المملوكة

نثر الحريف على الثرى اوراقه فنه ثوت كـنـثـو العبرات

...

كـكـاهـر انا حـمـقـن جـوـاـحـي وحميمهن كانه زفراتي

...

وتناثري يا خافقات في اهوى هـيـانكن قصيرة كـحياتي

...

وعلى الثرى الاوراق يشبه نثرها آمال هذا العصر مستثرات

...

فاطر تـو ان الشاعر لم يقصد الى تصوير ما يكتنف اوراق

الحريف من حالات ومظاهر وخصائص وما توحيه من صور وافكار
وانما قصد الى شرح احواله وتعبير ما يكن في نفسه من يأس وفي
ذلك ما فيه من الدلالة على ان الشاعر لم ينشئ بهذا العنوان بدافع
من الوجدان والعاطفة نحوه ، وانما نشئ به تأثراً للادب الغربي او
محاكاة (للموض) الجديدة ، والا لأننا معه بصورة كاملة ولم يجعله
عكازاً او طريقاً للعبور الى صور اخرى .

الفراشة الخنزراء

لا سبيل للتعلمق في اتجاه هذه القصيدة غير الاعتقاد بان عواصف
الشاعر ومبتلاعه فيها قد كانت منجبة اما نحو مظاهر الحياة المادية
كما يتصورها في وصف الفراشة وما تتصل به من حال الطبيعة
حيث يقول :

خلقت كما نهوى في عالم شعري	أبقى اعاني رائق العظم والنور
حوالك من آلاء بستان جنة	كسبك وشاحاً من غلائلها الحصر
لك الروض عذبا متروعا من بشاة	يجلك فيض من النور والعطر
لك النهر يجري سائعا متدفقا	تمتع من نماء في مر يجري
لك الطير تشدو في الصباح وفي المساء	ومعشاك من اعامها نشوة البحر

واما نحو الحياة الروحية كما يتجلى من اسفه وتقنيه في اواخرها
حيث تفيض اللوعة من قوله :

فآبة حتى تذهيني لأغندي نصيرك في الدنيا وأوهامها أزري
 وهدي الأمانى لحن النور أرغبت فلم ألقها إلا حياءاً من السخر
 وهذا الهوى سر الوجود ومجده يطيل بنا الأيام في ألم الفكر
 وهذا الصبا روض الحياة تعطلت أغايه ما بين الأسى والشجى المر

إذ لا محال للاعتقاد بصدق عواطف الشاعر أو صدق طموحه
 وتأثره بكل المومنين والتأحينين لتعارضها أو تناقضها بحكم الوجدان
 والدوق العني الذي يقدر مبيع الفرق بين حياة الشعور والتفكير
 ونشوته الروحية ، وبين حياة الأكل والشرب والراحة من تعب
 التفكير والشعور ! ولكن مثل هذه الحياة المادية البعيدة عن نشوة
 الشعور والتفكير لا يمكن أن يكون لها هذا الأثر في نفس الشاعر
 ولا هذه القبة والا لما كان لعواطفه الأساسية هذا الاضطراب وهذه
 الحلة المائلة في قوله :

والا فما قدر ابتسام مريب هيب قلبي واشتلاق على شعري
 أضحك والأوهام تملأ عاني وتهرى بمرآة على وضع الفجر

ولما اعتراه هذا الترم وهذا التشاؤم لو صح أنه يتوزع بعواطفه
 ومصاحبه الى مثل تلك الحياة المادية المبسورة له وبكل أسان حين
 يكتفي منها بما تناله القراءة من منع مشاعة لكل معدوم الحس
 والشعور من الطير والهورام ، إذ لا يحتاج المرء في الوصول الى مثل
 هذه السعادة الا الى شيء يسير من الاقتناع بقطيع من الماعز !
 وشبابه من القصب وقد يصبح اسعد حالاً من القراءة ومن كل طائر

مضى وطن نفسه على مثل هذه الحياة يتحول بقطيعه من واد مريع الى ربوة معشاة ويتجه بأحلامه من جدول متكسر الى غدير فياض فيقوم يواجه من العن وبأخذ بحظه من مرج الحرية ومنع الطبيعة لا يخشى حتى القاصين ولا يشعر بعبر حال الكائنات يرف حوله بينما يلحن الطير من غير ان يشعر بما حوله ان ينقل خائفا من الحزن متكرراً من الفلك الى غير ذلك مما يحمل الشاعر الحساس على الاشتاق لا على الاغتراب ويدعوه الى الاكار لا الى الاكار والعيرة ١٩ كما
 حسن من صورته في مثل هذه الحال وقال :

حازر كالظفر الخائف قد صيغ وكره
 موقه البزي والاشراق في مجد وحده
 فهو ان حط الى العراء شك السهم في صدره
 وادا ما طار لافى فشعم الجو وسره

وعلى كل فان الاستاد شراره — في قصيدته هذه — انما كان همه في ان يتصور شعاعاً من الاشباح ليثه آلامه ويباوجه لا لان لهذا الشبح مكانه الراسخ في عواصفه وقلبه ، والا لتجرد له في بيانه — كما تجرد ابو ماضي في مثل هذا الموضوع — ولم يند عن مقتضى ذلك في استطراده والتفاتاته .

ثم هل يظن الاستاد انه خرج بقصيدته هذه عن تلك الحطة التقليدية التي كان عليها الشعراء المتقدمون من وصف حالة الطير وتصوير نحو من انحاء حياته ليعقبوا على ذلك بوصف شقايم وتشاؤمهم بتعظيم

الفارق الذي يميزهم عن الطير في البؤس والشقاء كما يتجلى في قول
شاعر الحمدايين :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة	أيا جارفا هل تعلمين بحالي
أضحك مأسور وبكي طليقة	ويست محزون ويندب سالي
أجمل محزون الفؤاد قوادم	على غصنٍ نائي المسافة عالي
معاد الهوى ما ذقت طارقة السوى	ولا خطرت منك المصوم ببال
أيا جارفا ما انصف الدهر بيننا	تعالى أفاطلك المصوم تعالي
تعالى توي روحا لدي ضعيفة	تردد في جسم يعذب بالي
لقد كنت أولى منك بالدمع مثله	ولكن دمعي في الحوادث غالي

هل يظن انه خرج عن هذه الحطة بغير ان جعل القراشة في
مكان الطير وافترض لها شيئا من اوصافه وحالائه الشعرية اد كانت
القراشة قريبة الشبه من الطير في اكثر شؤونها .

العاطفة في الشعر الجديد^(١)

بقلم حنا اسطفان

بشرت مجلة الامالي مقالين حول العواطف المصطنعة في الشعر الجديد... الاستاذ عبي الرمي حمل فيه على الموضوعات الجديدة التي يطرقها الشعراء المتجددون ، وانتخب من كثيرها : العليقة لأبي ماضي ، وأوراق الحريف لعصوب ، والعراشة الخضراء لشراره ..

يعيب الكاتب على هؤلاء وأمثالهم انتخاب مثل هذه العناوين التي لا تتصل بما يشعر افكاره من مناحي الحياة الحديثة ، ولا بما يضغط على عواطفنا من آثار اجتماعية والنمسية ، والازمات

(١) واحب ان الاستاذ اصعب الى غير عن رأي الاستاذ شراره في انتقاد مكروني .

السياسة والاقتصادية ، كما انه يستبين بهذه الاشياء لغرائها في محيطها
واعداً انه لا يجوز ان تتخطى «الضروريات» وتفرع منها الى مثل هذه
الكليات الالهية » . وقد يعدرُ الشعراء الغربيين وحجته في عذاره
« ان موضوعاتهم لا تتنافى مع اوصاعهم وطروفيهم وبيشتم »

لم اعلم كيف يميز الاستاذ نفسه الخوض في مثل هذا البحث ،
ويستهدف لغضب الشعر عليه ، عندما حاول حصره في دائرة المآرق
الاجتماعية والازمات السياسية وما إليها ؟!

وكيف يفترض ان هؤلاء الشعراء المجددين ينكفون العاصفة
عندما يخرجون عن محيطها ودائرة تفكيرنا الضيقة ؟! أيطن الاستاذ
ان الشعر يخضع مثل هذه الظروف ، واسه عبد نيره الحوادث
الاقليمية بأفقه ، كما يجبر مروض الحيوانات دونه كيف شاء ؟ وهل
لشعر حدود ومقاييس ودوائر اذا تخاضها وقع في الشرك ؟ وهل مثل
الشاعر في الادب مثل الطبيب يبضع الدماجل ويداوي القروح ام
هو فوق كل هذه الماسحات يثد في هدأة نفسه ما يستعده من
الالحان ويتناول الحجر الجلود ويحول بين يديه اى كثة من
الاحساس الرقيق ...!

عرف أرسطو الشعر بقوله : « على الشعر ان يتناول المسكن
والملئ الاعلى » اي ان يطر اى الاشياء كما ينظر اليها كل من
من الفنون ، ولكنه يخلع عليها سيجاً فنياً من ألوانه المترافقة ،
الفاية في بعضها . يلمس الحجر فيعجز منه عيونه وخذوداً ومباسم

ولكنه لا يغير طبيعته ...

وما فرضه الأستاذ علي الورث على الشعر يتنافى مع طبيعته ويتلاءم
والشعر يرتفع بنفوسنا الى اجواء خيالية يخلقها الشاعر ، فإما
ان يصقل صفتها او يجهها . واما النثر فيزحف بين مرائع الناس
ومصاحفهم يصور حالاتهم ويحل مشاكلهم ، وينبطن ألسنتهم فهو كما
تريد به استاد يتصل بكل ما تريد .

لذلك لا اهم كيف تأبى على الشاعر هذا الانساع بالخيال ،
ولا انقلاط من القيود الصدئة عندما تتحول عاطفته الى العيفة فتلبس
اشواكها وتسرب مع جذورها في الارض ، وقد تريد فتجعل
العليقة نفسية عاقلة تعطي القارىء امثلة قد يسهر عنها وأنجب
كيف نسأل الاستاد عن خضوع الشاعر وخشوعه امام القوى
الوهمية كما يسميها !

الشاعر يختلف عن العالم الطبيعي وعن المهندس والخطاط ، هو
دائماً كما عبت عليه يرى الاشياء من حلال عاطفته وخياله ، اذا
تناول القضية فكيف ينفع فيها اعاءه اماماً تيل وتلا الكون
بسمات او دموعاً ، وليس كما يراها العالم : اين نعيش واي تنمو ؟
والى اي فصيلة تنتمي ؟

وهذا الجموح بالاختد في الموضوع الذي يعزوه الاستاد الى عدم
صدق العاطفة عند الشاعر ، هو سر العبقرية ونعوق الشاعرية فعندما

يتصل الشاعر بالموضوع ويمزج به عاطفته حتى تلتج العاطفة فيه
 تتولد بالموضوع تلك البهجة التي يطنها الاستاد قلقاً وتناقضاً ،
 ويعتلي في نفسه صراع هائل بين ما تبين له وبينه يحاول تبينه .
 وقال في « اوراق الحريف » : « ان الشاعر لم يقصد الى شرح
 خصائص اوراق الحريف وإنما قصد الى شرح احواله وتفسير
 نفسه » . وهكذا يكشف لنا الاستاد اربن عن قيمة الشعر في
 نفسه فلا يرضاه الا صورة عن منظر هز قلب الشاعر ، ينقله الى
 القاريء بارضه ولون ازهاره وعدد افصان اشجاره وما يتغيا في
 ظله من الاعشاب الطفيلية ، واما ان يكلمنا عن تأنيواته وما بعثته
 فيه من العوامل النفسية فهذا دلالة على اصطناع العاطفة حين ان
 الشاعر لا يستطيع ان يتناول الموضوع من هذه الناحية الباهتة
 فكمل الاشياء لا قيمة لها بنظره الا اذا حركت شاعريته واحسا
 بخياله ، فاذا امرغها فبعيص من تلك الشاعرية وذاك الخيال ، ثم
 انه يرى « الفرائشة الخضراء » صورة « حمامة » ابي فراس الحمداني
 وينتهي على تجديد الاسناد شرارة راعماً ان حطته خطبة تقليدية
 مسبوق اليها وأرى ان الشعراء المجددين يستطيعون ان يكونوا
 كذلك فيما صدق من الشعر القديم ، وقد اريد من كلمة « قديم »
 ذلك الشعر الذي يعني بتعداد صفات الملوكة ووصف الابل
 والحيل والبكاء على الاطلال في عصر البخار والكهرباء لا ذلك
 الشعر الذي يرتقي بالنفس الى اسمى درجات الشاعرية كقول
 امرئ القيس :

مبوت اليها بعدما نام اهلها ممو حباب الماء حالاً على حال
ولا يعني ان الاستاذ شرارة كان مقلداً عندما نظم قصيدة
« العراشة الخضراء » وليست قصيدة « الحمامة » للشاعر الملداني الا
نزعة التجديد في ذلك العصر القديم .
فالعاطفة في الشعر « عاطفة » لا تعرف قديماً ولا جديداً !

ثم العواطف المصطنعة

... وتقدير تجربة الأديب ، حذا اصعدت ، على المثل العليا
واحداثق المجردة اتقدم اليه بهذه الملاحظات احرة وأنوجه نحوه
هذه خصصت الريه ، عنه يصبح يقبه له أسوته من صحيح
ونُشتت به من مواعيد اوسع بذلك قصدي خطب من توحيد
وحداث العصر واجتماع ارضي ، او يشكره بفسر لي وجهه بصره
في تفيد ما نُشتت به وتسميه ما أراه ، ويقدم للقراء ما يقع
المستعين منهم بصحة مدعه وصدق حجته ، فان الدود الحق من
يشرح لك على الحس والفصح ، وعوامر الصحة والعباد في
يتقدمه ويمده ، لا من يقول هذا صحيح وهذا فاسد ثم
يطلق مع هؤلاء وعديته او يقف كالترفع عن الحواب اعتداداً
سوء مكانته !



(١) بما انني اعتبر عنوان القصيدة رمزاً لمكرتها وموضوعها ،
أجدني مضطراً لان اقيس ، حيالها ، ومنطقها ، وما شئت عنه من
عواطف الشاعر ، على مقدار صلة هذه الامور وانطباقها على العنوان
والموضوع ، إذ ليس للمساعد في عرقي طريقة مستقيمة يمحس بها ، جمال

الفن وصعته ، وصدق ، مثل ان يثبت بموضوع القصيدة وغرض الشاعر ، وظروفه ومواقفه الخاصة ، التي تستلزم في توجيه ملكاته الفنية باتجاه خاص ثم يقيس على ذلك ما في الشعر من خيال ، ومنطق ، وعاطفة .

وعلى هذا الاساس والاعتبار قد جريت في نقد « العليقة » واوراق الحريف ، والقراشة الخضراء ، معتدأ كل الاعتداد بهذه النظرية ، وهي : ان الاستطراد الى ما يبعو عن الموضوع والمقام ، دليل على عدم التأثر به او على كذب العاطفة نحوه ، ما دام الصديق يوجب على الشاعر ان يصور بواعث العاطفة وان ينقل ملاسائها ، لا ان يصور ما يبعو عن ذلك ويناميه .

وإذا كنت قد استعنت على تقريب مزاعمي وتأيدها ، بكون تلك الموضوعات لا تصل عما يشع افكارنا من ماضي الحياة ومآرقها ... فهل اكون بذلك — كما شاء ادب منتقدي العاضل — قد حملت على كل موضوع جديد ، وعبت على الشعراء انتخاب مثل هذه العناوين ؟! او استهدفت لعضب الشعر عني ! وتطلعت على البعث ومناقشة المحضين لغتهم ومثلهم الاعلى من الشعراء ؟!



(٢) وكذلك انا لم اذهب في مقاي داك الى استعانة محالفة الشاعر بعواطفه لبيئته ومجتمعه ، وانما ذهبت — مع ايراد ارجحات —

الى ان ذلك مما يستعرب وقوعه عدة ، لأبرد شكى في صدق
 العاطفة من تلك القصائد التي تناولتها بالبحث والتحليل فلا يعترض على
 اذن بشدود بعض المبشرين من الشعراء في بعض مواقفهم العبقريّة فان
 ذلك لا يمكن ان يتخذ دليلا على صدق غيرهم في كل موضوع وفي كل
 موقف ، على ان اولئك العبقريين حين يتسردون على عوامل البيئة
 والظروف ويشدون عن المجتمع بأهاليهم وعواطفهم لا يتكافون ولا
 يتراخون عن تصوير نواغثها وملابساتها وشرح عللها واسبابها بما
 يلائم الدوق والمصطفى ويقنع القارىء بما افسعوا به من خصائص
 الموضوع واثره على النفس.

افرا قصيدة ابي ماضي في - الفراشة النائمة - ولاحظ كيف
 يصور البواعث لعاطفته العربية عن مألوف الجمهور وكيف يشرح
 الملابس والعلل عما لا يختلف عن موضوعه وغرضه ولا عن مواقفه
 وظروفه :

لو كان لي غير قبلي عند مرآك لما اصاب الى بلواه نواك
 فيم ارتجافك ؟ هل في الجو زللة ام انت هاربة من وجه فتاك
 وكم تدورين حول البيت حائرة الى آخر القصيدة ...

ثم انظر اليه كيف يتبدى في تصوير حيرة الفراشة ثم في تصوير حماها
 وخطير امرها بنظر الشاعر وكيف يتدرج في خياله ومسطقه وبيانه مع ادوار
 حياتها الى النهاية ، ثم تأمله بعد كيف يظهر كباره لها ، وفنته بها ،
 وجزعه عليها من خلال ذلك ، ولا يلبس في استطراده كلها - على

شوع الصور الشعوية والالتفاتات الذهنية — موضوع شعره ولا عرصه ولا طروقه ، كما انه لا يهتم مراعاة التواميس الادبية واصول الجمال الفني ، كما قد اهمسها ونسبها هو وزميلاه في قصائدهم الثلاث .



(٣) يقولون : أن هذ نساءك الصحف والافلام ، عس امكان اجتماع حين في قلب واحد ، وفي آن واحد ، ثم لم تنعم بجواب غير النفي والاستحالة او الدرة والشدود .

ويقولون : ان الحب اذا تمكن من قلب الانسان جعله لا يستسيغ — في حديثه عن المحبوب — ما ينبو عن ذلك ويبافيه كما يشهد بذلك قولهم :

لم ادر ما أتبعني غيركم في اللحن لحن وفي الاعراب اعرابي وقولهم :

في كل آونة خيال ينسج نسي بذكركم الحميد ونصح

واذا كان من المستحيل او الشاذ ، اجتماع حين في قلب واحد او كان من المستحيل او النادر ان يستسيغ الحب — في حديثه عن المحبوب — ما ينبو عن ذلك ويبافيه ، فهو يمكن — والحالة هذه — ان يخرج الشاعر عن مقتضى هذه القاعدة في تصويره لموضوع الذي تأثر به واختص له ، ليكون استطراده — على ذلك

النحو — غير محلٍ بما يقتضيه صدق التأثير به أو غير مشعر بفنور
العاطفة واصطناعها .

ثم هل يشك شك ، بأن العزل الذي كان يتقدم المدح وما
شاكلة من الاعراض والموصوعات في شعر المتقدمين وبخاصة استفادتهم ،
هو غزل مصطع لا أثر فيه لصدق العاطفة والفعال الوجدان ، مع
أن الكثير منه — بفصل براعة الفن والمحاكاة — يشتمل على تصوير
أظهر خصائص الحب وأدق حالاته

والذي هو المؤرخين والنقاد على الاعتقاد والقول باصطناع
ذلك الشعر وكذبه ، غير ناهي عن مواقف الشاعر واستطراده إلى ما
ينافي الصدق في عواطفه العرابية ، حيث يدل القرائن على الكذب
والصدق في البيان أكثر مما يدل الكلام نفسه .

وإنه لولا ذلك لما نهيأ لبعض المنظرين شكهم أن يزعموا أن
المتنبي غير شاعر ! لأنه لم يحب مع أنه هو الفاش :

جهد الصباية أن تكون كما أرى عينٌ مسهدة وقلبٌ يخفق
ما لاح برق أو ترنم طائر إلا انتنيت ولي فؤاد شيق
جربت من نار الهوى ما تنطمي حر العضى ونكر مما يحرق
وعذلت أهل العشق حتى دقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

(٤) انا حين نحكم على امر من الامور ، انه صحيح او انه فاسد لا نحكم بذلك الا بعد ان نتصح لى وجوه الصحة ووجوه الفساد فيما نحكم عليه ، وكذلك الشأن حين نقول عن شيء انه حسن او انه سمح قبيح فلا نقول ذلك الا بعد ان نستشعر وجوه الحسن ووجوه القبح فيما نتحدث عنه .

وبما لا شك فيه ان من هذا الشعور الطبيعي العام الذى يتحد ويبتقي في اغلب احكامه الفردية وفي اكثر مساحيه الجريئة ، تستنبط المقاييس العامة للصحة والفساد وتتألف الموارد الصحيحة للحسن والقبح ان في الشعر او في غيره من الفنون . وان مقاييس الجمال اما تتزع من الجمال نفسه :

وعنى هذا بمكنى ان اقول : انه اذا صح لنا القول بان الشاعر او بان الشعر لا يحصع لمقاييس والقواعد فان يكون المراد بذلك من المقاييس ، المقاييس الاجتماعية والاحلاقية والتعليمية التي تعرض على الشاعر انجهاً خاصاً لا يتسع لحرية الشعور والتفكير والقول ، ومن القواعد ، القواعد الفنية من رياضية وطبيعية وما اشبه ذلك ، يلتزم الحقيقة والواقع ولا ياتر بالجمال والروح والعاصفة ، لا تلك المقاييس الفنية التي تسر بها شخصية الفنان وبشترك في وضعها دوافع وعاطفته وخياله ، فهي بذلك ملائمة الفن وروحه ، وعلى مقدار تاثر الشاعر بها وتدويفه وتقديره ها يكون نصيبه من فهم الشعر واحادة نظمه والتحليق في أجوائه لاما من الشعر في الصميم ومن الادب بمنزلة

العقل من الخيال الجامع

نصوّر كيف يكون حال الشعر من الاضطراب والتفكك
والتموض لو اننا مايرنا القائلين بالجموح والانعاق ، ولم يراع فيه
الحدود والمقاييس التي تناسب عصر الشاعر وخواص لغته وطبيعة
حياته بان تركنا العاطفة الشعرية على سجيتهما تتوسل بنفسها وتعمل
بوحها بدون ان شرف عليها بفكاره وتحتكم فيها الى اذواقنا
فتروض بجاعها ووزن حياها اسمعز ترتيباً طبيعياً بوضع القصيد
وسجامة ويقنع القارىء بمطلقه وسحره الفني . وهل يمكن ان يكون
الشعر — في هذه الحالة وعلى هذا العرص — الا من هذين المحمومين
ونغمات الحرس ٢٢

ولو ان سر العبقرية ونفوق الشاعرية — على حد قولك — كان
في العوض وتخطي الحدود والمقاييس التي يقررها الذوق والمنطق ،
لانتصرت العبقرية في الحنون ! واختص التعوق في المجاين !



(٥) ثم انه اذا عرف ارسطو الشعر بقوله « على الشعر ان يتناول
الممكن والمثل الاعلى » فهل تراه قصد بذلك الى نقص ما تؤثّر من
اقوال قادة الفكر كقولهم :

« ان لمظاهر والحوادث الطبيعية والنفسية نتيجة وعلاقة وتسلسلا

لذلك يجب ان يكون الجبال وامسطق في الشعر جاريا على حسب الطبيعة لا يهككه اضطراب ولا يقطعه استطراد او شذوذ ، والا كان محالاً للنظام الطبيعي فاقدآ لجمال التوازن والتناسب في الفن الذي لا يتم الجمال والكمال فيه بدون ذلك .

وقولهم : « انه ليس العرض اشهر من الفن هو تصوير العاطفة — على ما بها من اضطراب وشوش — اذ اليام بهذا الجهد في الواقع ضرب من المحال ، وانما عرض الفن تصوير العاطفة راضها ، العقل وأحسها واسع عليها حلة رائعة من جمال التناسب والنظام »

أم تراه يقرم على ان التوازن والتناسق شرط اساسي من شروط الجمال الفني وسر من سروره لا يستقيم لنا القول بصحة الفن وصدقه بدون ان نتحقق من وجود هذا الشرط وهذا السر فيه ، مهما أحسا للشاعر من الاتساع والخيال والاعفلات من القيود الصدفه ، على حد قولكم ، بل احسبه لا يسكر عيننا . ان الاستطراد الى ما يند عن الموضوع والعرض والمخروف ، به ، ان يكون لاحلال في فطرة الشاعر ومراكر تفكيره ، وبما لاصطباع العاطفة نحو الموضوع ونكاف التنظيم وكذب الشاعر .



(٦) واذا كان لا يُطهات في واقع الامر الى صدق الشعر

الا ناث ينقل عاطفته نحو الموضوع — نوعها ودرجتها — تصوير
 مسع تلك العاطفة وشرح ملاسها ، ليرى القارىء في الشعر ما قد
 رأى الشاعر نفسه اذ ان تراء هذا التصوير الذي يثير العاطفة ويبعثها
 والاكتفاء من الشاعر بذكر آلام نفسه وامراحها لا يحسن القارىء
 على التصديق والتأثر لآثره لانه لا يرى داعيها والحامل عليها وانما
 يسمع دعاوى بلا دليل يبررها .

اذا كان الامر ما ذكره فهل ترى يكون الشاعر صادقاً في
 عاطفته نحو الموضوع حين يشرح احواله الخاصة ويفسر نفسه المستقلة ،
 وينكم عن تأثيراته البعيدة عما يلبس الموضوع من صور وعما يكتنفه
 من احواء ، ليكون الامتداد (غصوب) صادق العاطفة في قصيدته
 « اوراق الحريف » مروراً حماسك واندهاءك في صرته من غير
 روية وعلى غير اساس متين ؟؟

على اننا لا نرتب من الشعر حين ينكم عن عوامله النفسية
 وعن تأثيراته البعيدة انما يعبر بذلك عن حقيقة صادقة روية الصدق ،
 ولكنها غير عاطفته نحو الموضوع صمماً ، بل من صدقه في هذه
 الثانية المبانية الاولى سندل على صدقه ، اذ لم يحسن الله لرجل من
 قديين في جوفه ١



(٧) اما قولكم : فعندما يتصل الشاعر بالموضوع ويخرج به

عاطفته حتى تخرج العاطفة فيه ، تتولد بالموضوع تلك البهجة التي يظهرها
الامتاذ قلماً وتناقضاً ويفتلي في نفسه صراع هائل بين ما تبين له
وبينا يحاول تبينه »

هذا انما يمثل حال الشاعر قبل النظم او عنده لا حاله في
طبيعة شعره وصورته بعد النظم اذ يجب هنالك ان تكون عواطفه
وأخيلته وامسكاره منسقة واضحة ، والا اضطر للنزول على حكم
صاحبنا « بول فاليري » وهو ما ينكره صاحبك شراره كل الاسكار
اذ يقول من كلام له :

« والقول بان صورة الفوضى لا بد وان تأتي فوضى حقيقة
لا تنطبق على الشعر وان انطبقت في بعضها على التصوير لان الشاعر
يقدر على تنظيم امسكاره وعواطفه وعلى ان يسوقها في قالب لا ينقص
من طبيعتها ولا يفكك من وحدتها ، ثم يبرزها جلية واضحة ،
وسيرى القارىء ، بان هذه الحقيقة خطر على الفن خطر على الشعر
خطر على الادب جميعاً »



(٨) وليد كل فحسي ان تسلموا معي بان الامتاد شرارة في
قصيدته (القراءة) انها كان هم في ان يتصور شعباً من الاشباح
ليثه آلامه ويناجيه ، على طريقة ابي فراس لا لان لهذا الشيخ
مكانه الراسخ من عواطفه وقلبه ، حسبي ذلك استفق على ان العاطفة

في الشعر عاطفة ، لا تعرف قديماً ولا حديثاً ، وعلى ان ما كان خالياً من العاطفة اما ان يخرج عن كبره شعراً ، واما ان يكون شعراً كاذباً مصطنعاً يراد به - وجه الموصة - لا النفس في استقلال حواسها واصطرام عواطفها وشعورها ، ولو ان انا فراس لم يتخذ « الحماسة » طريقاً للبث والشكوى على نسق قوهم :

أيا شجر الجاور ما لك مورقاً كأنك لم تخرج على ابن طريف

بان جعلها موضوعاً لشعره ومسرحاً لحجائه ، ومداراً لعواطفه
اكان موقفاً معه موقفاً مع الاستاد شرارة حين جعل (العراشة)
موضوعاً لقصيدته ، وان كان الفارق بعيداً



(٩) ويبقى الجواب على نبحك من استنكاري الحماسة الاستاد
الحي ماضي واستعطافه على اثر ما صورده لنا من حال العليقة واليكه
مفصلاً :

هل لك - اها انصف ان تبادل في ان كل عاطفة لا تتركز
على الايمان بحقيقة ما ، هي عاطفة كاذبة منكفة ، وعليه فاعسى ان تكون
هذه الحقيقة وهذا الايمان الذي ارتكز عليه او ماضي في اظهار
عاطفته الحماسية حين انشد :

قلت يا مكنة العاب ويا بنت التراب
لا تلجعي في اجتدابي او فلجعي في اجتدابي

انت عوداً فيه ماء ليس عوداً لاحتطاب
 انا في فجر حياتي اه في شرح شبابي
 الهوى ملء مؤادي والصبا ملء اهابي

وهل تراه — وهو الشاعر — الوائق بالفس استهلل للحياة
 العارف للمستقبل — كان مؤمناً بحول العليقة وطولها الى حد انه
 خاف على حياته من خطرهما واضطر الى ان يقف منها موقف اصابع
 المستعطف بمثل هذه اللمحة :

اه للارض وان طال عن الارض اغترابي
 غير اني لم يزل ضرعي لمري واحتلاب
 فاذا استنفدت ما في دن نفسي من شراب
 عاجذيني انت يكن مني نفع للتراب

وعلى تقدير ان تراه صادق اللمحة في مقام الاستعطف والحماسة
 فهو ترى انه اخلص لموضوع قصيدته (العليقة) حين اقتضب وصفه
 اقتضاباً واستطرد الى ما يسو عن مقام التأثر به من حالات ، وبما في
 مقتضى الاخلاص له من انجاء ومحاولات ؟

واداً فهل يستطيع النقد ازاء هذا الاقتصاب وازاء هذا الاضطراب ،
 ان يخرج في حكمه على الشاعر عن واحدة من ثلاث ضعف الشاعرية ،
 او اختلال في مراكز التفكير ، او اصطناع العاطفة نحو الموضوع

وتكلف القول فيه تكلفاً يصعب معه التوسع في الوصف والمضي في
تصوير خصائصه وتطوراتهِ الى الحد الذي يتطلبه الاخلاص ويوحيه
صدق العاطفة والشعور؟

ولكن الاكبار لشاعرية الاستاد ابي ماضي ، والايمان بشخصيته
الادبية والفكرية يدفعنا الى الاصرار على اتهام على عاطفته نحو
العليقة ، لا اكثر ولا اقل .

من حديث المصع

هذا الحديث وإن يكن وحدانيا في روحه واشتيا في معناه بيد أنه تمت في نهايته في تقديم وصف المصصة بقرب لأسباب وأصدى البيانات : مما لا ينقطع الكثرة في أدب امرئته والتأنيب والمدح ، لذلك انتبه في هذا الباب .

٠
١ - اخي الاستاذ العاضل ..

نحية الوراق الكبير وعاطفة المخلص المشتاق ، وبعد فكم وددت ان اؤثر غيورك من الاصفاء بهذه ارساله الصاحبة وان القاك بغير هذا الجلو العابس والصوت الخافت واللهجة الصارعة ، ولكن أبى لي فرط الجزع والاشفاق بما شاهدت وأحسست ثم فرط الثقة والاطمئنان الى نبل عواطفك ومرونة طبعك ، في توجيه كلامي على وجهه الصحيح البعيد عن كل ما يمس الكرامة ويغزى الالباء الا ان استرسل مع الصدق والمناسبات وانزل على حكم القائلين :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك او يسليك او يتوجع

اخفي اني ما برحت منذ دخلت المصح ابتعد ما امكن البعد
عن التعرف على المرضى والبائسين : وخاصة اذا كانوا في حال
يأس وجزع ، لاني وان بالعت في السخر من كوارث الدهر تنزل بي
وتحديث نكباته بقول القائل :

ان كان عدك يا زمان بقية بما تضم به الكرام هانها

فما زلت اصعب وتضطرب اعصابي للمظر الشجي والحور المض
والمصيبة العادحة نحيق بغيري من الناس ، ولكن الصدف شأت لي
في هذا العيد السعيد — بغير المصح — ان اذهب لمائدة بعض
اصدقائي الذين انتفروا الى حيث يقيم القتي البائس التجيب حسن
عواصه : من حاصرة الجنوب التبطية : وشاء لي دافع المروءة
وادب اللياة ؟ ان اتعرف اليه وان اجلس عند سريره أواسيه
واستقرى خبره وانفقد احواله الصحية وازماته النفسية والاقتصادية

فادا بي امام طائر هيج قد هض جناحه ، ووردة فواحة
الشذى لم تتمتع اكمامها للحياة والنور حتى اجتاحها عواصف البؤس
والشقاء وألقها في قبضة الداء الوبيـل نضرع وتضطرب وتتلاش
بين آلام مبرحة وحرارة مضية ، وبجة خاشقة تضيق لها الخنجرة
ويخفت الصوت الحون ، ذك الى وحشة العربة ومرارة العاقبة
ودل الالتجاء وعصا القنوط ، الى ضغط المناسبات وادكريات

على الاحساس المرهف والفكر الفريد من قسى في مستقبل العمر
تطايرو نفسه حشرات كما اهن عيد من الاعياد بافراحه ومباهجه،
او شاع خبر من الاخبار عن موطن احببه وحلله او اقل زائر
من الزوار يتفقد احوال جيرانه ورملائه من المرضى ويختصم
بالعطف والحنان ، وكلما تفت الى ماضيه وذكر اقربائه في
المدرسة واحده في ملاعب الحي . وساميه في معترك الحياة
كيف دارت به وهم الايام ، فمشوا قدماً نحو اهدافهم البعيدة
وقعد عجزاً لا يهو باحبلته واسيه الى شيء غير الصحة والعافية او
الخلاص من ديبا البؤس والألم ؟

وإذا لمي اراء مشهد مربع مجمع وجو فام مكهر يزعزع
النفس نوعه واسى ، ويهطر القرب رحمة وحساً ، ويلهب البيان
قمة وسطحاً على هؤلاء المحسب انهم لا يعرفون ميلاً للبر
والاحسان والخير غير هذه السيل التي العوها في التزلف الى استبددين
او الدجابين او المشعورين من السادة واقادة من
غير ما سؤال عن فائدة هؤلاء السادة في بلادهم ، وعن اثر اولئك
الاقطاب في امتهم ، او عن حقوقه لها من المشاريع الحيوية النافعة
التي تسدد خطانا في محاربة الآفات والابوثة الفتاكة من حمل
وفقر ومرض واستعباد وفكنا من توجيه حياتنا الاجتماعية
والسيامية نحو هدف انساني بيل يصون مستقبلنا من التدهور
الاخلاقي والسياسي والاقتصادي .

اما مثل هذه الضحية من صحايا النواميس الجائرة والاوزاع

القاسية التي حرمته من اسباب الراحة والدعة والاطمئنان ، ودفعته
قسراً عن مقاعد الدرس الى جو خائق من احواء المصاع والمعامل
اهلك قواه ، واداب جسمه ، واثقى صدره ثم قذف به الى مباصع
الاطباء وايدي الممرضات والملاجىء المنكوبين بصحتهم وراحتهم
وآلامهم ، وتركه صريعاً يئن من ألم الجراح ، جراح القطيعة ،
وجراح الداء ، وجراح التفكير في سوء العاقبة وهول المصير .

اما مثل هذه الصحة فبئس له من عظمهم واهتمامهم ما يجبر
قلبه الكبير ، ويمسح جرحه الدامي ، او يلطف جوه استقل
بالمحوم ويعيش فيه بعض الامل والرجاء ذلك بان التواعات الشخصية
والاعراض الحربية والمقاليذ الموروثة لم تحدد قيمة هذا النوع من
العطف والحدان ، ولم تدبته الى اثره في كسب الخطوة والشهرة
والجاه ؟ ؟

...

هذه صورة من صور العيد في المصح ، وهي كثيرة متنوعة
تتفاوت وتختلف ثم تنتهي الى نقطة واحدة من البؤس والالم
والقوط ، فنصور حال أخيك ازاءها ، ثم سلي كيف انت ؟
وما عسى ان اكون غير رفرة في إثر رفرة ثم نقمة في إثر نقمة
او لعنة تتبعها لعنات ؟ ؟

عمرانك اللهم ؟ ألمده المشاهد والحالات والصور آثرنا بالاحساس

والشعور والعاطفة ؟ ثم قلت « وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » ادن هنيئاً للانصام والتهانيل الحجربة ؟ ومرحى ثم مرحى للجلادين والكارى ؟ وإنا لله وإنا إليه راجعون ؟

اليك الله الخلق ارفع رغبتي (١) عباداً وحرراً ان نطيل ضحايا (٢)
فان كان براءً فاجعل الرء نعمة وان كان فيضاً (٣) فافس ما انت فاصيا

مصح . . . في ٢٧ - ٨ - ١٩٤٦

٢ - اخي الاسناد ..

سلام على ايام السرور بقربكم وعلى ليالي المرح في مقناكم ،
وبعد فهل لمحت الطير تصطرب لافراسها وهي في قبضة الصياد ؟
او بصرت بمن يشرف على فدة كبده وهو في عمرة اليم لا يستطيع
ان يدبر لانتقاده ولا يقوى على رؤيته يستعيث ولا يغاث ؟ اذالك
هو قلبي وهذا هو شئني نجاء هذا النضو العليل ، حس عواضه :
وهو بين محالب الداء ينظر الى من حوله في عزة مخذولة وبأس
مريب : فاني منذ تعلمت عليه واحطت علماً بخوالج نفسه الكليسة
وتاريخ حياته المحزنة اصبحت لا يقر لي قرار ولا يهدأ لي خاطر .

فاذا نهيأت لي اسباب الوصول الى مكانه القصي ودنوت من

(١) الصمان : ما يصيبها من ابله ولرماه .

(٢) ليس : الموت .

(٣) من شعر عمرو بن أحمد الباهلي

هيكه العظمي واشرفت على خياله المسجى توغزع كياني وانهارت
قواي لروعة ما أحس وهول ما أرى من احواله واوضاعه ، وقد
بدلته الاسقام واحالت صارة صباه الى عظام نافرة ووجعات
شاحبة وانف منصت ونفاه ذائبة وعيون غائرة خاشعة توشك ان
توعب وتخيف لولا بارق من جمال الألم يهر القلب رأفة وحنانا ،
وهالة من جلال اليأس تأخذ الب هبة واكبر رأ ، وتدهل النفس
عما يحولها من صرعى البؤس واصاء البقام وعمما يكتنفه - في
ذلك الجراح الخاص - من وحشة الجوار ، وجفوة الخدم وفسوة
المرصات على مشه من اللاجئين الى كنف الحكومة ورحمة
الافدار .

ولولا باغت من الحرص على تعزيز معوياته والاحتياط لراحته
والمبادرة الى ما يجب من اصعابه ومساعدته على اسقامه وآلامه ،
لتغادات وطال انكاسي في عاصف من التأوهات والتمنيات
الحارة ، ولكن أحدي بتحصير ما تدعو اليه ضرورة الحال من
علاج او مأكلا او مشرب واسراعي الى ما يوفه عنه من ملاطفة
ونهوة وتنجيف عرق وتغيير وسائل ومراقبة همه وتلبية اشارته ،
هو الذي كانت ينشئ قواي ويشعري بشيء من العبطة الروحية
لا اعرف له من سبب الا هذا الاطمئنان الى انني اقوم ببعض
واجبي تجاه الاساية المعذبة في شخص هذا الحبيب الضاوي
الذي اقضاه ببله واعته عن قلق اللثام واستعطاف الجدة واستخدام
الحيلة والمكر .

واذا حال مابع من انواع الصحية او الجوية بيبي وبى الوصول
الى مشواه فعالي اذ ذاك لا يخطف عن حسان ام رؤوم غادرت
وحيدها في حومة الوعي وبانت تضرب احساساً في اسداس ومحسب
الحساب لكل سابع وبارح ، فما ليلي غير تصورات وافتراسات
مريقة ، وما تهويبي غير هواجس واحلام مضيقه .

وكلما اصطكك الحاجر بالسمان وعلت حشرة المصدورين
وامتد لها نهم في جنح الظلام الخالك ، تصورته — في مثل هذه
الحال — وهو يضطرب كالظير الدبيع برهة من الزمن ينخطف بها
نفسه وتجحط عينه ، ويحتقن وجهه ، ويسدى جبينه وتتخادل يداه
عن كل شيء حتى عن المديبل والمبصقة .

وكلما دق حرس النجدة والاسعانة في جباب مس جواب
المصح ، ثقلت محوله واسقامه ، وحفوت صوته ، ونجته من صلف
الناس ، وعجزه عن القيام والعقود وعن حمل ما يحتاج اليه ، ثم
ثقلت اضطجاعه في غرفة ليس فيها غير اسقيم العليل من امثاله قد
حلت من وسائل الاسعاف والنجدة حتى من جرس يلجأ اليه المضطو
في استنجاد المرضات واستعطف الخدم :

وكلما رن صوت وارتفعت جلبة في غرفة من غرف المشرفين
على الملاك تخيلته وهو في سكرات الموت يوزع نظراته ذات

اليقين وذات الشئال فلا يرى احداً من اهله واصدقائه ومريديه
بحسب عليه ويسعفه ويعينه في هذه الشدة التي تسترق النعوس
وتستصفي القلوب وتستدر العطف والحنان من اشد الناس صلابة
وقسوة .

وإذا انفتح باب او شع صباء واجناز حارس الليل يستنه
الرهيب ووضعه المريب طار صوابي وهفا قلبي الى مهد النؤس
ومشوى الألم الى حيث يقيم حسن ، لا الوي على شيء ولا آبه
لشيء فلا هذا الحو بصفائه وازدهار مجومه ، ولا اشعة القمر العضية
بانعكاسها وتكسرهما على صفحة ذلك الشاطئ الخام ، ولا هذه
المدن والقرى ، بانشرها بين السفوح والهضاب وتماوج انوارها
وتألقها تألق التيجان على هام الجبيرة ولا شيء من هذه الطبيعة
الساجية الساحرة باستطاعته ان يصرفني عن الاهتمام بشأنه او يشغلني
بتصور شيء غير بلواه او رؤية شيء غير عيونه بصعور ونحدق في
طموح قليل نحو من يجيره ويسعفه ثم تعفو ونعرب في صراع
عنيف مع داعي الفناء والموت وغير صدره يعو ويحس ، وبه
يضطرب وعرقه ينهل ، ولسانه يمس بما لا يكاد يبين من كهات
الضراعة والاستسلام للارادة الحكيمة الجبارة ،

لا شيء من هذا كله بقادر على ان يتون خطبي في محنته

والحاح الزمان والداء على صباه الفض وروحه العذب وفله الكبير
الساخر من الحياة والموت في وداعة وورانة وشمم توشك ان تحمله
— وهو في عمرة من الفواجع والآلام — المعنى الاصيل لقول
الشاعر .

هو في قبضة الخطوب انتعاص من ابناء ولعنة من عباد
يخنق الرقرة الجموحة في الصدر ويجري مع الحمى باآد(١)

...

اما نهاري فصمت وعكبر في طاعه واوصاعه ، ودرس ونحس
لاقواله واعماله وما تتم عليه من سل وأفة ، وحصانة بارعة ،
وعقل حصيف وارادة حارمة ، وصبر جميل على عسف الفصاء واقدر
وجور الليالي والايام .

واني لا ارال اذكر — نضض واعجاب — من اقواله واعماله
ومزاياه ما يصور جواب شخصيته الفدة ومهد السبيل الى تقدير ما
صاع من ملكاته وحصائنه الروحية في قرار البينة الحاملة ، وفي
محاضن الفقر والبؤس ، وفي مهاوي الحرمان من ومائل التقافة
الصحيحة والدرس العميق ، ثم من دواعي العبطة والثقة والطموح
الى ما يناسب استعداده العطري من حياة مجيدة ومستقبل زاهر

(١) من شعر عمر ابو ريثة

فمن ذلك انه على نحوه وهزاه بحيث لا تراه يختلف عن الهيكل العظمي بغير الجلد والعصب ، وعلى ضعفه وعجزه عن القيام والقعود ثم عن النوم الا على جنبه الأيسر ، وعلى ما ينتابه من الحرارة الشديدة ومن وجع الرأس والاضراس وألم المعدة وتورم القدمين والنهاب الجانبي الذي ينام عليه من اقضاء الى اقضاء على هذا كله لا تسمعه يشكو او يتوجع او يفوه بكلمة تزعج الجار وتروع الحب :

ومنها ان تراه - وهو على مثل تلك الحال من الضعف والالام - يتجدد ويكظم آله وينكلف من الحركة والكلام والانباه فوق ما يتحملة ضعفه ونسج به اوجاعه - عندما تزوره وادته اوجدته وعمه او اي شخص يطش الى عطفه وجبهه - ليومهم انه بحالة صحية ندعو الى الاطمئنان والتماؤل وهودو البال ذلك مع شعوره بنهاية اجله واقطاع كل امل بالشفاء من علته .

ومنها ان تراه - على اختلاف عوامل الفقر التي تحيط به وعلى بأسه من بر والده واهله وعلى اع ذات يده وحاجته الى المعونات الرائدة في غربته وشدة - يصيق ويمسح عن أي مساعدة مالية مهما تقنست في الاحتيال الى اقاعه بوحدة الحال وروع الكلفة ، وانه على ما يعتقد من عطف عمه - زوج والدته - واستعداده لكل نصيحة في سبيل راحته ، ما يروح يتكفف في مصرفه ويقتصر

على الضروري من مساعدة عمه خشية ان ينكشف له فوق ما تتعمده
امكانية صاحب عاتبة كبيرة قد حابه الخط في معامه وأخطأه
التوفيق في كسب الثروة .

ومنها انه طلب الى احد اصدقائه في ذات يوم ان يأتيه
ببعض المنعمات من الممرضة التي تشرف عليه ولما شعر بانها لم
تحترم ذلك الصديق في جوابها ، اعروفت عيناه بالدمع ، وقال -
في غصة المحجول - هذا بسبي ؟؟

ومن ذلك اي حسنت له - وقد تنامى بضغفه - ان يعود
الى ابيه او يدعوه اليه يستروح عطفهم ويلوذ بحسامهم من هول
ما يلاقيه من شدة وبؤسه من كروب ؛ فما إن شعر بهذا حسي
او ما الى وقال - بلهجة يبرونية جازعه - - أنى يكون ذلك ؟
وعودني الى ابي خطر على صحة احمي الصغار أقص عليه ألف
غربة وألف عذاب ! واستعصار والدني الى هنا يصاعف جزعها عبي
وجزعني لها ولا يقنني من ألم الحياة او خطر الموت ! حسبي من
احلام السعادة ان اخفف عن ابي بعض الغناء ؛ وحسبي من
واقع البلاء ان اصاب بنفسي ؛ ثم حسبي من حيل العزاء هذا
العطف والاهتمام من مثلك ! : ان عصي الموت يا سيدي واحده
لا فرق فيها بين ان يكون المرء اميراً في غربته او اميراً في
بلاده ؟؟

...

هذا قليل من كثير مما سمعته وشاهدته وشعرت به من احوان
 هذا الفنى الباشىء واوصاف هذا الغريب المجهول حتى بين اهله
 ومواطنيه ، فما عسى ان يقول به الالهي المنتصف ؟ وما عسى
 ان ينتهي اليه الفكر النافذ من نتيجة وحكم ؟ ومسا عسى ان
 يكون لذلك من اثر على الوجدان الحي والعاطفة النبيلة ؟؟ ذلك
 ما انركه لشعور هؤلاء الذين اقصاهم العرف الزائف واصلمهم العرور
 والتمويه عن التقرب بعظمهم وثقتهم ، واكبارهم ، الا للناشئين في
 طلال الارستقراطية والمغمورين بعم الصحة والثروة والجاه

وبعد فمن تصن في هذه الكمة وميت بكل ما انتهى اليه
 المكر والحس والخيال من حياة هذا المنكوب ومزاياء ، انشاء
 هذه المدة القصيرة التي عرفته فيها ، وحاولت ان افهم بشيء من
 واجب المواثبة والتجدة ، هيات ؟ فان ذلك ابعد مالا واقصى
 غاية من ان يحيط به فسي وبقوى عليه بياني في مثل هذا العور
 العابس والازمات الخائفة التي تلحني بين ساعة وساعة الى ان اشد
 مع الشعر القروي قوله :

واحيرة العاقب من « داهر » فضى وامضى بشقا العقل
 يعمل ما لو غيره عامر لقامت الدنيا على العاص
 كم صرعة للحق قد زرلت ربي في الحق وفي الباطل

أبليس يا مسكين مت غيرة ؟ فالصلب حظ البشر الكامل !
 ما كانت الآلام مذكّرة الا نصيب الرجب العاصـل
 فلنحمد الله على نعمة حصت بنا من فضله الشامل

مصح . . . في ٢٩ - ٩ - ١٩٤٦

٣ - احي . . .

انه لقد جرى حكم القدر بما كنت أحشاه وأنوفه ، وفاضت
 روح حسن وسكنت بأمنه ، ولبس من العير على من اتاحت له
 الحياة ان يرى كيف يجنّز الطاووس وان يبصر كيف يذوي
 الزهر ، وان يتصور كيف تتلاشى النفقات العطرية في صباب
 العبر ، ان يتمثل معي هذا الوسيم الشفاف وهو يتجرع غصص
 الموت ويتلاشى شيئاً فشيئاً ثم يقضي وعلى شفتيه سمة المنهل الباسم
 وعلى مقلتيه وداعة المطمئن الحالم ، وعلى فسمانه وضاعة اسماء
 الظاهر ، ليعرف اي وقع لهذه الفاجعة واي أثر لهذا النبأ على
 احساس من ادركه في عفوان يؤسه وألمه ، وعلى وجدان من
 لازمه في استد ابيه بلاء ومحنة ، وعلى عواطف من اكبر نبل
 شعوره ، واعجب بألفة طبعه وآمن بنسامي روحه على ما كابد من
 جور الداء ، وعنت الفقر ، ولؤم المجتمع !

يا يومه لم تدع حسناً ولا ادباً الا حكمت به للحد والكفن
 لله مقلته والموت يكسرهما كأن اجدهما كرى من الوهن

يرد انفاسه كرها وتعطفه يد المنية عطف الريح للغصن
 ياهول ما ابصرت عيني وما سمعت اذني فلا ابصرت عيني ولا اذني
 لم يبق من بدني جزء عمت به الا وقد حله جزء من الحزن (١)

على اني لم اضطرب له عند موته اضطرب لي له وقد جدوا
 به الرحيل وحقت عذبات نعمة في الاقبح البعيد كأجحه الملائكة
 المخلقين بروحه الطاهر ، ذلك بابي كنت . وانا يائس من
 شفائه — الألم لما يلاقيه من عاء وكرب . واتمنى له الراحة
 والحلاص من هذه الحياة النورية الناعسة التي تزهقه بأرواح العذاب
 وترهق كل من يجزع له ويجعو عليه ، ولكي بعد ان فرغت
 من غريضة وشييع جثمانه بأحر نظر واوفر دمع ، ولم يبق
 عندي من آثاره غير صور محردة ينأى بها الخيال وبضطرب لها
 الفؤاد .. طعم الحزن على كياي وعشيني من الهم ما جعل ايامي
 كثيفة غايبة انخص ساعاتها ودقائقها على مخصص من الحياة ،
 ووحشة من الدس وجزع من كل شيء يدكرني به وبشرف في
 على ديبا البؤس والألم والقنوط التي لا يبعك صداها يون في
 مسمعي وصورها القاتمة تتوالى على مخيلتي كلما صادفت واحداً
 من هؤلاء الذين كانوا يمتنون اليه بصداقة او عداوة او جوار ،
 ويقصون من أحببه واسرار نفسه كل . يشير العصف ويدكي
 اللوعة وبضاعف الاكبر . وكما تعرضت لهذه الامكنة التي كان

(١) من شعر أبي تمام

يجوب مداها الرحب بنظرانه العميقة ، ويملا فضاءها الواسع
باحلامه البعيدة ، ويلهب سفوحها المحضلة بنأوهاته المناججة ، وكل
طلعت مأساة من هذه المآسي التي تغيب في آفاقها النفس عن
كل ما في الحياة من راحة وطأية ورجاء ولا تأوب الا بغصتها
وحزازتها من كل مسرح للأس والسرور وكل مظهر للنعمة والعافية
حرم منه أمثال هذا الشقي العثر البعد ، وقاض — بغير جهد —
على من لا يستحقه من لثام الناس وطعانتهم .

...

ولعل اشجى ما يحض النفس من ذكره الالية ، هو ضياع
ملكاته القذة في مهاوي الحرمان والاهمال والفواجع التي اجتاحته
قواه واحاطت بشأنه من البيت الى المدرسة ، الى المصنع ، الى
المصح الى القبر ، .. ثم هوان خطبه على .. الدس كأن لم
يكن غير وهم باطل او خيال زائل ١٩

ومن مظاهر هوانه التي جزعت لها في المصح هذا الاستحقاف
بشعوره وعواطفه من المروضة التي كانت تشرف على تربيته ومن
أولئك الخدم المستغربين لارادتها فقد كانوا جميعاً الا ما ندر —
لا يتعاشون من اهمال رغائبه ومطالبه وتغنياته ومن القادر عما
يضر اليه من اسعاف او علاج او مأكل او مشرب .

وحسبك للعلم بما انتهى اليه من ذلك .. ان تتمثل معي شعر

رأسه — لمور الايام والشهور عليه بدون غسل — يلتصق بالجلد او يتأثر حصلا متماسكة الاجزاء خشنة الملمس باهتة اللون تذكرك باهاب الجراد الذي خافه السائس بعد طول السفر وقادي البحري واضطرام الاقن بالعباج وتشعرك بما يحق به من قسوة واهمال وحيف ، واسي لم اجد وسيلة لها أثرها في اعاشه وتخدير اعصابه — عندما يشتد عليه الالم مثل ان احك رأسه واسرّح شعره حتى اذا استمررت على هذه الحال ارتاح واغفى وهانت عليه اوجاعه .

ثم كانوا لا يتودعون — في نصريهم وتليعهم — من إشعاره بانه ميت عن قريب ! كما انهم بعد وفاته لم يراعوا جلال الموت ولا حرمة الميت ولا شعور من كان يحيطه ، بكل عطف وتقدير ، حين نقوه من سريره الى العرش ، اد تقدم اليه اثنان من اجلافهم جذبه الاول من رقبته وجذبه الثاني من رجله ثم رفعوه بسرعة تقوس لها ظهره وتأرجعت بداه ، واضطرب وضعه ، ثم القوه كما يلتقي الاناء الفارغ بدون اكتراث لهذا الموقف الرهيب الذي يسمو بروعته وجلاله عن عبث السفهاء .

ومها اني عندما ردت البطية مسقط رأسه ووطنه الاول لم ارفس واجت — وهم كثير — من يعرف عن موته او حياته شيئاً بل من يشعر بفقدته وقد مضى على وفاته اسبوع كامل ، وعندما يممت بيروت — مرتع صباه ومثواه الاخير — وانصلت بالمقيمين هناك من ابناء منطقة لم اجد الحال عندهم تختلف عن

الحال في السطية من حيث الجهل بحقيقة امره والاستهانة بشأه حتى
اشتقت ان يكون بمن عناهم الشاعر بهذا القول :

نصي المنون يقوم لا تحمهم كأنهم من هوان الخطب . وجدوا
بما يدعو الى التفكير في حكمه ، والى الوقوف عند تعميده اد
ان فيمن هان خطبهم عند الناس .. من كان له من سمو فطرته
وسمو همته واتجاهه ما يؤهله لان يكون جاهلاً لقومه وثروته لوطنه ،
ولكن التوفيق اخطاه والايم حاربه في بيثته وبثنه وفي جميع
وسائله ومقاصده حتى مات بعضه مونة الحسدي المجهول في غمرات
اعيط فهو ان الخطب في مش هذا كمداحته — عند شعرائنا —
عموت من توصوا الى الخاء وبال والشهرة العارعة ببيع الصير والوحدان
والاستخفاف بحقوق اوص وكرامة لامة ، كل من الخالين لا يعدو
ان يكون من طم الاعداد العاشمة وجور التقاليد ارائفة لا من
عدلها وانصافها :

...

ومن ذلك انه ، حين دعبت اؤدي فروض الذكرى وواجباتها
في اليوم السابع من وفاته ، واجتزت بهذه العابة من القبور الرحامية
المدة برحرفها ودقنها الى ذلك الجاب الحامع المتواضع تواضع من
توى به من الغراء واساكين ، فما راعي هناك غير هذه الكومة من
الرمال قد احاط بها اطار حشبي كتب على جاب منه اسم حسن
عواضه : وقاريخ ولادته سنة ١٩٢٥ وتاريخ وفاته سنة ١٩٤٦ وكتب
على الجاب الآخر هذان البيتان :

يا زائري لا تنسني من دعوة لي صالحة
ابسط يديك الى السما وافرا الروحى الفاتحة

اذ لم اجد في رسم القبر وسذاجة هيكله ولا فيما يحيط به من
هذه الاجداث المقفرة من كل زينة المعطلة من كل زخرف ، ما يدل
على انه كان في موته او فر حطاً عند الناس — وأعر شأنه منه في
حياته ومرضه ، واد لم ار في هذين البيتين المتعلقين على القبر — كوصام
الاستحقاق — ما يمش ذلك الطبع الأبهي الذي كان يتحلى به صاحبه ،
ولا من المعاني السامية ما يبهج بسمه المزوفة عن بمائة الناس والوقوف
منهم هذا الموقف الخاضع المستكين :

وبما زاد في ارتياح القلب وذهول النفس ازاء هذا الحدث المهل ،
ما تشف عنه هذه الاطلال الموحشة الصارعة التي تحوطه وما نجش
به هذه البقعة الواجحة الكئيبة التي نخضه ، من صور القلوب الدامية
والعقريات المكبوتة والآمال المحطمة ، وما يردده صحتها وسكونها من
صدى الالين الحابي ، والانشيد الخافتة ، والرفرات المستعرة التي اجتمها
البؤس وطواغا الحرمان والجور ، في قرارة هذا الصعيد المكتظ
دلائلهم والصور المختلفة ، والراخر دلائل والشواهد المطردة على
عبث الايام ، وغرور الانسان ، ومآل الحياة الى هذا المستراد الحرج !
والنهاية القائمة الرهيبة ؟

...

وانني لا آسف لشيء — عند ذكره — أسفي لان الايام لم
تتح له شاعراً متواضعاً يصفي لبواه ويستوحى ظروفه ، ويبيكي صباه

الناظر ، وامله اليأس وخلقه المصطفى ، وما الى هذا من خصائص
بارعة غالها الموت وعفى عليها النسيان .

وإذا كان لهذا الأسف ما يقطع وجوته ، فإنها هو هذا الاعتقاد
مني أو هذا الشعور بان الناس قلما يحتفون وفما يرتون أو يكون
تأسفاً على الموتى أو اكباراً حطهم وثنواً بمصاهم ، وإنما يصطنعون
البكاء ويتكلمونه ترفلاً للأحياء أو استعلالاً للعاسات ، وذلك شيء لا
يحتاج الى برهان في الاوساط العامية والبنائية ففي العمام الماضي
نوهي شادن من الشباب البلاء لا تختلفان عن حسن عواصه في
حادثة منها . ولا يفصلانه في دوق أو عرس ، ولا يمتاران عنه في
خلق أو خلق ، ولا كانت الظروف والعوامل التي احاطت بوفاتها
افسى وامس واشجى من الظروف والعوامل التي احاطت بوفاته ومع
هذا كله فقد اهتز الاقيم لوفاتها ونسابق الشعراء والادباء في رثائها
وتأنيبها ، على جهلهم بحقيقة عسيها وانجاهها أو ميزانها ... بين نجاهل
الكثير من مواطني حسن منى مرض ومضى توفي ؟! وابعدوا عن
النظر عليه والنظر الى ما احاط به من ظروف قاسية وما انتهى
اليه من نهاية محزنة

فما السر في هذا ؟ غير ان اولئك ماتوا في كنف أعزة اغنياء
بهاجم الناس ويرجونهم فيحضون للتقاليد والاعتبارات التي تحسن
لهم المبالاة والمجامة في اصطناع البكاء لاهزانهم وآلامهم ونككت
الضحك والطرب لافراحهم وتهايمهم من غير ان يبحثوا عن اثر ذلك في
قرارة نفوسهم أو عن مدى الاخلاص لروح الفنية والارتفاع بالمستوى

الادبي عن الملحق والتدجين... وقضى هذا عربياً في وطنه مضطهداً
 بين اهله بعيداً عن كل ما يدعو الالابيين الى استكناه حقيقته ،
 واستشعار ألمه وبؤسه ، واعتبار هذه المجموعة من خصائصه الذاتية
 وظروبه القاسية ، وبهيمه المؤثرة ، موضوعاً فنياً لارتاء العاطفي
 اخالص من اثر الصمة والرياء . قصى ولسان حاله يردد مع محمود
 ابي الرفاه :

أبي وفي الدار مشوى كل والد	ووالد الجبيل للنؤس امثالي
خلقتني ووصعت الجبل في عقي	تشده كف دهر جد خنال
ما كان ضرك لو من غير صاحبة	قضيت صمرك شأن الراهد السالي

مصع ... في ٣٠-١٠-١٩٤٦

الشعر بين التجديد والتقليد

كنت على اثر مناظرة بين وبين احد الادباء المعاصرين في
قيمة الالفاظ وقيمة الراكيب في عالم الشعر الى حد القول بأن
الشعر اما هو صياغة وصفا .



كان التقليد للغير وما زال منه من صن الحياة الاجتماعية التي
لا بد منها ولا يحيد عنها » لان الانسان بطبيعته لا يستطيع ان
يعيش مستقلا او ان يتزينا بري نفسه دائما وابدأ ، بل لا بد له
ان يتزنا بري الآخرين وان يسلك سبيلهم في العيش » ويجري على
منوالهم الى حد ما في القول والعمل والعرف والعقيدة والافكار
والاذواق ، والا لما انصل الماضي بالحاضر ولا استقامت الحياة في
علومها وفنونها وشرائعها ولغاتها ، او في اي شأن من شؤونها
الحياة النامية .

وكنه اذا حسن التقليد او لاق فانما يحسن ويليق بالصغار

والصعفاء ما داموا صغاراً وضعفاء ، أما وقد اشتد ساعدهم ، وبكامل
عزم الروحي والنادي . فلا . ليسوا بكبار واقوياء بل ليسوا بأحياء
إذا هم حددوا على التقليد واقتصروا على المحاكاة ولم يحددوا بأنفسهم
ويستقلوا بأفكارهم وأدوافهم . فيقرروا وينسخوا ويخلقوا ويكتشفوا
ويضربوا الأمثلة العليا للحياة كما هو الشأن في كل نفس حية ، وفي
كل نابع عبقرى من المعاء والشعراء ...

ولولا استمرار هذا التاموس الطبيعي الحاسد وتمكنه في الصميم
لمدت الحياة في أول مرحلة من مراحلها ولم نخط خطوة واحدة إلى
الامام كما يؤكد الواقع الملوس في الامم الحاملة ، والشعوب البعيدة
عن مظان الثقافة وعوامل المدنية والعمران .

وإذا كان مطلق التقليد لا يليق بمطلق الكبار والاقوياء ، فمن
يليق بالشاعر والاديب الذي يطمح لأن يكون لنفسه شخصية
ادبية خالدة تفرض حياتها والوانها واعامها فرضاً على التاريخ والادب
ليليق بطموحها أو يتفق مع نزعتها إلى الابداع والتجديد ، هل
يليق بها ان تدين بتلك العقيدة أو تقوم بتلك الكلمة التي كانت
يترسم بها الأعم الأغلب من شيوخ الشعر وفنائه (الشعر صناعة)
تلك الكلمة المجازية التي اسرف الجمهور في تطبيقها ، واعرقوا في تفسيرها
وعراقاً حدا بهم إلى التسامع . معاني والصور الشعرية وإلى القول بأناقة
التقليد والمحاكاة أو بضرورتها للشعر والشاعر .

اجل ، إن للصياغة والصناعة قيمتها ومحلقها المرموق من الشعر ،
وانني بدوري لا أغض من قيمتها ولا اكفر ما تسبغه على الشعر
من حال وجلال . بيد اني مهما بالغت في ذلك ولا انجاوز ان يكون
محلقها من الشعر محل الجسم من الانسان ، او محل اللون من الزهرة
على اي فرض يمكن ان يفرضه المناولون . وكما انه لا يستطيع احد
ان يذهب الى ان الانسان عبارة عن جسم والى ان الزهرة عبارة
عن لون فكذلك لا يستطيع احد ان يذهب الى ان الشعر مجرد
صياغة وصنعة لا شأن فيه للمعاني والاحياء والصور بما فيها من شعر
وفنون . بل انما الشعر الصحيح الذي يمكننا ان نسميه شعراً هو
— في نظري — ما قام على اساس ثابت وبق بديع من ذلك كله
اي بان لا يعدو بحقيقته ان يكون عبارة عن « روح » تتجلى
في صورة وأنجلته ومعديه و « فن » يتجسم في صياغته وصنعة
وموسيقاه .

وكما كانت الروح في الانسان هي الاصل وكان الجسم فرعاً عنها
فكذلك الامر في الشعر والبيان . فالشعر الذي لا يشع بجملته عن
روح الموضوع وروح الشاعر — واستقلاله — لا احسب ان ذا
ملكة فنية او ذوق سليم يجرؤ على القول بكتلته او الاعتراف
بصحته وصلامته من العمل والامراض .



ولو صح ما يقدر من ان « المعاني والاحيالة » هي من

تراث الشعراء وأما تتفاوت وتختلف باختلاف أساليب الأداء ومناهج التعبير — كما يلوح من كلام بعض الاستاذة — لما صح اعتبار الشعر وحياً والهدماً ، ولما صح فيه اعتبار الصدق في الشعور والعاطفة أو لما كان الشاعر في حاجة إلى قوة العاطفة أو قوة الخيال أو قوة التفكير كحاجته إلى قوة الحافظة وبداهة الذاكرة وسلامة ادبوق الموسيقى ، ما دامت تلك المعاني والصور من تراث الشعراء ووحى الذوق الذي اختار لها تلك الالفاظ والتراكيب ليررها ويجوها بهذا الأسلوب الذي امتاز به الشاعر وتفاوتت معانيه ، ولما لنا أن نكتفي من الشعر باللفظ المختار والجملة المنسقة والوزن المستقيم والقافية المحكمة ، ولم نحسب حسنا لحال الصور الشعرية واتساق المعاني وصحتها وبعدها عن المحاكاة والقليد أو السحف والابتذال .

ثم لو سمنا جدلاً — مع هؤلاء — بأن المعاني والاحيية والصور الشعرية إنما تمتاز وتختلف باختلاف أساليب الأداء ومناهج التعبير ، ولم يذهب إلى أن تلك الأساليب وتلك المناهج هي التي تتطور بتطور المعاني وتختلف باختلاف الاحيية والصور الذهنية ، وكيف يمكننا أن نوفق بين ذلك وبين المتداول المعروف عند اليونانيين من الترتيب الطبيعي في الكلام ، وكون أساليب التعبير تابعة لأساليب التفكير ، أو كيف يمكننا أن نتوفى العوض والاهام أو التقيد اللفظي ، وهو على قولهم إنما يكون بترتيب الالفاظ على حسب ترتيب المعاني في الدهن ، لا بترتيب المعاني حسب



وبما انفس على بعض متأدينا او استنبهوا بان اللغة العربية
والفاصها كلها قديم في قدم ما خلا بعض الالفاظ الاعجمية الدخيلة
التي لم يقرر عماء اللغة استعمالها وكذلك الشأن في الوضع ، فان
هذه الالفاظ المتفق على صحتها الى الآن لم نوضع له ان جديدة
غير المعاني التي وضعت لها من قبل امجزة ومن بعدها . وما دام
الشاعر ليس له سوى هذه اللغة ، وهذه الالفاظ وما دامت
الالفاظ ليس لها سوى تلك المعاني التي استعملت منذ مئات السنين
فمن اين للشاعر ان يسفل او يتجدد في شعره وليس له من حرية
التصرف ما يبيع له ان يخالف اللغة او يخالف الوضع او يخالف
الاصطلاح ؟

أجل ، ولكنهم لو تدبروا ولاصطروا ان ليس اراد من تجديد
الشاعر واستقلاله ان يخفق لبا لغة او وضعاً او اصطلاحاً ، وانما
اقصى ما يراد منه ان يبتشئ لموضوعه صورة شعرية عامة تعكس
فيها جميع خواصه واسراره ومشجانه . كما تعكس الاشعة
الوهاجة في الماء النير الصافي ، معتدلاً في ذلك على تأثيراته الخاصة ،
وخياله الحر الطيق ، ومكره المجرد ، ودوقه المستقل تتشبه ما

ظروفه وتتميز شخصيته واضحة جليلة ، صورة لا تنسق بمجموعها له
او لامثاله من الشعراء بعد ذلك الموقف الخاص الذي تجلت به
نفسه وانطلقت في تكوين تلك القطعة التي تمثلت وتكاملت بها هذه
الصورة وان كانت هذه الصورة بأجزائها منحلة منفردة قد تتفق
وتتداخل في مواضع وصور شعرية متعددة ثم لا ينافي ذلك استقلال
المجموع والكل منها ، كما قد تتداخل المسألة العلمية الواحدة
في علوم متعددة ولا يقدح ذلك باستقلال تلك العلوم وانفصال
بعضها عن بعض — وهذه او تلك الصورة التي يشتملها الشاعر بخياله
على حسب الظروف والاحوال والمواضع لا يشار اليها او يعتبر
عنها بالمفردات اللغوية . وانما يشار اليها ويعبر عنها بمجموع صيغة
البيت والقصيدة لكونها باصطلاح الياسين نكاد ان تكون عبارة
عن تلك المعاني الثواني التي يجلوها الشاعر ويورها عن طريق
المجاز والاستعارة والكتابة وما اشبه ذلك لا عن طريق الوصف
والتمثيل .

ثم ان يوجد ايضاً من تأليف الالفاظ وتنسيقها على شكل
خاص نغماً موسيقياً لا ينسق له او لغيره من الشعراء في غير هذه
القطعة وهذا التنسيق الخاص ابدى نق به جملة وتراكيبه التي
تكونت منها تلك القطعة الشعرية . فانهم لو تدبروا ولاحظوا
هذا امراد من التجديد والاستقلال لأمنوا ورطة الشك والريب
والاشتباه واطمأنوا الى فنهم وكفاءتهم ان كان هنالك من من



ولن هذين العرضين من الشعر اوضح واصدق ما ذهب اليه الجاحظ في قوله : « انما الشعر صياغة وضرب من التصوير » فانه لم يقصد طبعاً من التصوير ذلك الذي يلققه الشاعر وينتعله من تصوير غيره وتأليفه ، وانما قصد ما يخلقه الشاعر بخياله وفكره من الصور الشعرية التي يستوحىها من موضوعه وظروف حياته وبيئته . وكذلك القصد من الصياغة انما هو هذا النعم الخاص الذي ينشأ مع اسلوب القصيدة بما فيه من حمل وتراكيب والفاظ تتفاوت قوة وضعفاً وشدة وليناً ، وفتناً واسعاً على حسب الادواق والملاذات الفنية . وما كان ذلك بدعاً في القول واقتناعاً على الشعر ، فهذا « ارسطو » على بعد عهده وتقدم عصره يقول : الابتكار اساس الشعر . فالشعر عنده — كما يظهر — صورة مخترعة يخلقها الشاعر قوة خياله وفكره . والوزن والقافية ربما كان شيئاً اصافياً يلحق بالصورة حتى يتم حلقتها وتكوينها في نفس الشاعر .

ثم ان في اجتماع الشعراء واتحاد القوائد المتعددة في موضوع واحد وفكرة خاصة مع اختلاف مناحي بياهم وتنوع صورهم الشعرية لذلك الموضوع الواحد والفكرة المحددة في كل قصيدة من

تلك القصائد — لحجة مبررة ، ورهانا قاطعاً على امكان ما نزمه
ووقع ما نذهب اليه من حرب في الافكار ، واستقلال في الاحية
والصور وهذه مختارات الجواهري والبدوي واني القاسم الشامي
والقروي وايليا ابي ماضي على حدانة عهدنا نشهد على ما نقوله
صادقين وندعيه واثقين ...

هل تتفاوت أساليب البيان

بتفاوت الموضوعات والمناسبات؟؟

.. اذا كان من شروط البلاغة في الكلام ان يكون لكل مناسبة ولكل طبقة من الناس مقال يختلف بصوره ومعانيه واساليبه باختلاف الافراد والجماعات في المكاة الأدبية والفكرية وباختلاف نسبتهم الاجتماعية من مكان استكلم ، ويتفاوت — بعمره وسهولته ودقته وبساطته — بتفاوت اذواق المحاطين ومعدل ثقافتهم وحظهم من الاصطلاح بدرس اللغة وفنون الادب واساليبه

كان على الاديب الحق الذي تتقف بثقافة عصره ومجتمعه وممارس أساليب البيان واحاط بخصائص المفردات اللغوية عما واختباراً ، ان يورد بيانه على ما يقتضيه الموضوع والفرض والمقام وان يكتف كلامه على ما يناسب ذوق المحاطين وثقافتهم وعقليتهم من شدة ولين وانطلاق

وتوسل أو توسم واحتياطاً لمختار الألفاظ والمعاني ، وإلا كان ضعيفاً في ذوقه ووه قاصراً في عكبره ومسطقه عن مدى عقلية المخاطبين وعما تقتضيه مراعاة الموضوع والعرض والمقام من أنواع المنطق والخيال والأساليب البيانية .



ثم لا ينبغي أن الأساليب البيانية تخفف بمعداتها وتراكيبها أسا وغرابة أو صلابة وليسا ، أو شدة وسهولة ، باختلاف الموضوعات ولو أنها كانت لشاعر واحد وفي قصيدة واحدة ، ذلك لأن الموضوعات تتفاوت في عصر دون عصر اهمالاً وتداولاً على حسب الحاجة إليها والاحتفاء عنها أو بحسب الميل لها والتفوق منها ، وتداولها يستلزم شيوع معانيها في الأذهان ومرونة الفاظها على اللسان وحققها على الطبع كما أن اهمالها يؤدي إلى عكس ذلك كله

فالموضوعات التي كان يألفها الشاعر الجاهلي ويضطر إلى تناولها في شعره — من خيل وابل وأوابد وبيد — ثم اهتمت على توالي العصور وتطورات الحياة حتى أصبحت غريبة عن الدهن بمعانيها ثقيلة على السمع بألفاظها بامرة عن ادواقها موسيقاها نقبص منها ونشك بصدق من يستعملها ونهم ذوقه وادبه ، هذه الموضوعات لو تناولها شاعر عصري بذوقه متطرف في رفقه وفي تجرده لا بد وأن

يتسم ببيان بطابع خاص من الغرابة والجزالة والعموض لبعده المعاني التي تشرح خصائصها عن ادعائها وغرابة الفاظها عن سمعنا وثقها على ألسنتنا ، وعلى العكس من ذلك الموضوعات التي بقيت متداولة في جميع العصور كالمديح والثناء والعزل وما يتصل بالنفس والحياة العامة فإنه لو فرض ان تناولها اديب نشأ محاطا على الاساليب القديمة متعمقا في درس شواذ اللغة متأثرا باستظهر غريبها ، لا يتسنى له ان يشد بأسلوبه ويغرب ببيانها عن مقتضى السهولة واللين والوضوح لقرب هذه الموضوعات من النفوس وشيوع معانيها في الازهار وتداول الفاظها ومرونتها على اللسان

وعلى هذا يمكننا ان نزع ان من الموضوعات ، يضطر الشاعر — مهما كان نوع مزاجه وثقافته وعصره — الى ان يكون على شعره طابع خاص من الجزالة والعرابة والعموض ، كما يكون في كل شعر وصفت به الاواند والسوق والصيد وما اشبه ذلك من الموضوعات التي اهلها المحدثون والمولدون وأدى اهلها الى غرابة الفاظها ومعانيها عن الدهن ثم الى ثقلها على الطبع واللسان

وان من الموضوعات ما يضطره ايضا لان يكون معتدل الاسلوب معتدل الالط معتدل المعنى كما تجده في شعر المديح والثناء والحكم وما الى ذلك لان هذه انعامات بطبيعتها واغراضها لا تلتئم مع التسميح والاسترسال ولا تنفق كذلك مع القصور والاغراب

وان منها ما يقتضي الشاعر أن يكون مسترسلا في بيانه مهمل
 الالفاظ واضح المعاني الى اقصى حد ممكن كما ترى في الهجاء
 والمجون وتصوير اللهو والغزل الاباحي ، وان تفاوتت اللهجات
 نوعا ما بتفاوت العصور والثقافات والامزجة لان هذه الاحوال
 في حد ذاتها فضلا عن شيوعها في كل عصر وفترتها من كل نفس
 لا تنسق الانساق الطبيعي التام الا مع التجرد من كل اعتبار
 والاسترسال يكن معاه مع خصائص الجمل والالفاظ السهلة المألوفة
 لدى كل طبقة .



ولعلك اذا قابلت بين عزل ابي نواس وطردبانه مع اسه في
 كليهما كان لاهيا او بين هجائه ومدحه مع اه في كليهما كان
 جادا او غائبا ، او فارقت بين وصف الناقة لطرفة يد العبد وبين
 تصويره للهو وميوله وتحدثه عن نفسه مع ان ذلك كله اجتمع
 في قصيدة واحدة ، ترى من هذا ومن الكثير من امثاله في الشعر
 القديم والحديث ما يقرب وجهة نظري في ان الاساليب البيانية
 تختلف باختلاف الموضوعات كما تختلف باختلاف الاشخاص
 والامزجة ، واليك فقايل بين اسلوب ابي نواس حيث هجو :

قل للرقاشي اذا جثته .. لو مت يا احمق لم اهجكا
 لانني اكرم عوضي ولا .. اقره يوما الى عرصكا

وبين اسلوبه حيث يمدح

وإذا المطي بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
قربتنا من خير من وطئ الحصى فلها عينا حرمة وذمام
ملك إذا اعسر الأمور مضى به رأي يفل السيف وهو حسام
داوى به الله القنوب من العسى حتى افقن وما هن سقام

او بين اسلوبه حيث يتغزل عش قوله :

وقصرية أبصرتها فهويتها
هوى عروة العذري والعاشق النهدي

لما نادى هجرها قلت واصلي فقات بهذا الوجه ترجو الهوى عندي
فقلت لها لو كان في السوق أوجه تباع بنقد حاضر وسوى نقد
لغيرت وجهي واشتريت مكانه لملك ان نهوي وصالي من بعد
وان كنت ذا قبح فاني شاعر فقلت : ولو اصبحت باقة جعدي

واسلوبه حيث يصف الصيد والكلاب :

لما تبدى الصبح من صحابه كقطعة الاشط من جذابه
واعدل الليل الى مآبه كالجبشي افترو عن اياه
هجبا بكاب طالما هجنا به يتسف انقود من كلابه
كأن متنيه لدى اسلابه متنا شعاع لح في انسيابه
كأننا الاظفور في قنابه موسى صناع رد في نصابه
نراه في الحصر اذا هأها به يكاد ان يخرج من اهابه

شدّاً ببطن القاع من ألقى به يترك وجه الأرض في إلهابه
 كأن نشوان توكلما به ينفو على ما جرم من ثيابه
 إلا الذي آثر من أهدابه نرى رسوم الوحش تحتوي به

او قارن بين اسلوب طرفة حيث يصف الناقة ويصور اوضاعها
 خير تصور :

ولاني لامضي الهم عند احتضاره بعوجاء مرقال تروح وتفتدي
 أمون كألواح الاران نصأها عى لاحب كأنه ظهر "بر" جد
 جمالية وجناء تردي كأنها مفعجة تبرى لازعر أريد
 "تباري عناقاً باجيات واتبع وطيفاً وظيعاً فوق مور معبد
 تربعت القعين في الشول ترنمي حدائق مولي" الاسرة أغيد
 تريع الى صوت المهيب وتتفي بذئ "خصل روعات اكلف ملبد
 كأن جأحي مصرحي نكنفا حفا فيه شكاف العيب بمسرد

وبين اسلوبه حين يفرع لنفسه وينحدث عنها بمثل قوله :

وان يلتقي الحي الجميع تلاقى الى ذروة البيت الشريف المصد
 ندماي بيض" كالنجوم وقينة تروح اليها بين "برد" ومجد
 رحيب قطاب الجيب منها رقيقة بحس الدماى بضة المتجرد
 اذا نحن قلنا اسمينا ابهرت لما على رسلها مطروقة لم تشدد
 وما زال تشرابي الخمر وذني وبسعي واعاقي طريقي ومُتدي
 الى ان نعامتي العشرة كلها واهردت افراد البعير المعبد

رأيت بني عبواء لا ينكرونني ولا اهل هذا الطرف الممدد
 الا أيها الراجري احضر الوعى وان اشهد اللدات هل انت محسدي
 فان كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعي ايدرها عما ملكت يدي

الا يمنعك هذا لاختلاف الجلي بين سهولة ابي نواس وليسه في
 المعاء والفزل وبين رصانه واغرابه في المدح والطرود . أو هذا
 التفاوت بين منانة طرفة واغرابه في وصف الناقة من معلقته وبين قوته
 ووضوحه ويسره في التحدث عن نفسه وعن حيائه الالهية عما يسر
 حكيمى او يؤكد زعمى ذاك ؟

لهذا أرى ان من التسرع والحطل ان نحكم على كل شاعر وعلى
 كل أديب من شعرائنا وادبائنا المتقدمين بأسلوب معين او ان نقيده
 بطابع خاص من الرصانة والسهولة ومن العموض والوضوح أو
 الترس والترس ونعص له من ذلك مقياساً لكذبه وتكفبه او
 صدقه واستوسله مع الطبع ولا سب اذا كان الشاعر اجتماعياً كأنى
 نواس يتسع بتقافته وعقده وعمرونة طبعه ولسانه لسائر الطبقات
 والحالات والظروف ولا يضيق قلبه وبياحه بما توحيه ضروريات
 الحياة الاجتماعية وتفاوت المناسبات من لهجة واسلوب بما ويلهمه
 تطور الحالات من معاني واخيلة فان الشاعر والاديب بما فطر عليه
 من دقة الملاحظة ولطف الاحساس والدوق لكا لتسم يتأثر بكل
 ما يمر به ويتطور مع الحياة بجدها ولهاها وحزنها وفرحها وشذتها
 ورجائها وقد يكون من ضعف الشاعرية فيه ان يلتزم بناحيه من

بواحي الحياة او يحمده على مذهب من مذهبها ولا يتأثر بكل
ما يلابسه من صورها وحالاتها واساليبها فيكون في البداية بدويا
يتأثر به يتأثر به الدو من العاط ومعانٍ واوضاع وفي الخضر حضريه
يهيم بكل ما يهيم به الحضريون وبين العماء عالمنا ينكم بلفظ العلماء
ويتأذب بأدابهم وبين العامة عامي يعبث بما يعبثون به ولا يترفع
بلعنه وعواطفه عن لغتهم وعواطفهم

كيف يجب ان نفسر موقف الشعر العربي من فن القصص والملاحم

مدى حسه اديبه تكرر فيها مع المتطرفين بالشعر العربي
واسمقريه العربيه محتجاً نحو الشعر العربي من القصص والملاحم
التي حفل بها ادب الاعاجم :



١

يشيع على لسان الرواة والمؤرخين القول : بان الشعر العربي
شعر غنائي محض لا يعنى فيه الشاعر الا بتصوير نفسه ، وان
القصصي والتشبيلي لا اثر لهما فيه : وهذا القول — بما يوشك ان يجمع
عليه الرواة والمؤرخون — ليس فيه محذ ذاته مما يحفظ نفوس
الباحثين والمفكرين من العرب او يبال عبقرية شعرائهم وكتابهم ،
بيد ان المتطرفين في شكهم واثمانهم قد عبثوا به ونوسعوا في تأويله

حتى اصبح وسيلة لانقاص العطرة العربية ينوسل بها استعاملون على العرب وآدابهم لتتليس على الناشئة وحملها على الاستحفاف بتراثها الادبي والقومي والشك نسو طبيعتها وكفافتها : وهي وسيلة ولا احسبها تقوم لا على تحمّل العاية والفرص من الشعر القصصي او على الحيل بان هذه العاية وهذا العرض يمكن تأديتها بعير هذه اللمحة وعير هذا السلوب عندما يحدد الشاعر لأنز الحية ولأثر البيئة في توجيه ملكاته ومواهبه الفنية ، وعندما يترفع بعطرته عن تكلف المحاكاة ولا التزام بما التزم به البعيدون عن مؤثرات حياته وبيئته .

لذلك رأيت من الأنصاف للعق ان ابدي بعض ما يحول في النفس ، وان اصارح او ثك انترسين وهؤلاء استعاملين بانه اذا كان الشعر القصصي في جملة عبارة عن نظم الوقائع الحربية والمفاخر القومية بشكل قصة ، فما عسى ان تكون الاعراض المهمة منه غير بحث الحماة القومية وتدوير المعاصر الشعبية ؟

وعلى تقدير ان تكون هذه هي الاعراض المهمة للملاحم والقصص ، فهل يصح او يجوز ان يكون الشعر العربي قد قصر في عصوره الحالية كل هذا التقيير عن تأدية ما تؤدبه الملاحم والقصص من الاعراض ؟ وهل كان في ابتعاد شعراء العرب عن تكلف المحاكاة والتقليد واستقلال كل منهم في اختيار الطريق الذي يلائم ذوقه في الاداء والتعبير وفي استنهام الجو الذي يحيط به ويلبسه ، وفي تصوير الاحساس والشعور الذي يخالج نفسه ويتصل بحياته الشخصية والقبلية ،

هل كان في هذا كله ما يعص من مدخرهم الاجتماعية او يزري
ملكاتهم الفنية ومواهبهم الروحية او يحرف جهرتهم عن النحس بحد
العرب وعن الايمان بعصمة ماضيهم وصمو فطرتهم وعقريتهم او عن
تقديس مبادئهم ومثلهم العليا ؟

وادن فأنى نحن عما يتجلى في هذا الفيس من شعر الحماسة والمفاخرة
والمندرة ، والمدح ، وارثه ، والحكم ، والوصف ، والغزل ، وما الى
ذلك من ابواب ومون تسلسل مشعة كالياض في قصاد
الجاهليين ، والمصريين ، والمولدين ، أم في هذه الانواع الادبية وفيما
يقارها من شعر العرب ما يمش سمو الفطرة العربية ويكيف خصائص
عقريتهم في كل ناحية من نواحي الفكر والشعور ، ويجعل منه اصدق
مثل للفخر والحماسة وتصوير محاري الحياة واقوى عامل على إلهاب
العيرة والحمية وصفل الدوق والعقل ، ثم ما عسى ان يؤثر الشعر
القصصي او يعمده في النفس اذا هو نجرد من مثل هذه الاشيد
الحماسية والقطع الوصفية والصور الوجدانية والخواطر الحكيمة او
خلا في حمته من مثل هذه الاجواء والمواقف . وهل يبقى فيه من
مظاهر الفن ودواعي التعجب غير التحدث بما يشبه البلاغات الرسمية
والنصوص التدرجية بما لا يؤثر على النفس — حين يؤثر — الا بعبارة
حوادثه ومفاجآته وقصاعة نتائجه .

٢

ثم اذا أمعنا النظر الى ظروف حياتهم الرثية وطبيعة بيئتهم

الحاجة انتسقة العصور والناظر والى اوصاع مخضعهم المعككة المضطربة ،
 والى عواصفهم الدينية الضعيفة المحدودة ، وانهم في ايام جاهليتهم
 ووثنيهم لم يكن لهم من اصنام عامة . وآلهة متنوعة ، او من دول
 وملوك . معنى الصحيح لهذه الكمة تقضي عليهم ان يعترضوا لها
 الخوارق والاساطير وان يصعروا حورها الحكايت والقصص بهذه
 الكثرة وهذه الصورة التي دأب فيها اليونانيون في عنوان سلطانهم
 ووثنيهم وفي ان نهضهم الادبية والفنية ، عرفنا من هذا كله ان
 ذلك النقص والحلل لم يكن في طبيعة اللغة العربية ولا في طبيعة
 العرب : فان اللغة التي ائتمت لترجمة آداب الفرس وعلوم اليونان
 وفلسفة العالم القديم ولكن تطور في الحياة امام نهضة العرب
 وقادري سلطانهم السياسي والادبي ما كان يمكن ان نصيق بالملاحم
 والقصص لو تحدى ها ، رباب الفرائح البعيدة والطبائع الحسنة ،
 منهم او لو ان البيئة والصروف عمت على توجيه مسكنهم الفنية نحو
 هذا النوع من الشعر .

٣

وهل يمكن ان تكون اللغة اليومية يوم نظمت الالبيادة او
 للغة الفارسية يوم نظمت الشاد دمة أنون ادة واعزر مادة واوسع
 ثروة في الاعاط والتواكيب والاشتقاقات من اللغة العربية في زاهر
 عصورها وابوابها ؟ وعلى اي اساس يتشبه تششون بمثل هذا الرعم ؟
 وهذا معرب الالبيادة - وهو من علماء اللغة العربية وادائها المتضلعين

بدرس اللغات والآداب الأجنبية يقول في صفحة ١٩٢ - ١٩٣ -
 ١٩٥ من مقدمتها . « واللغة العربية شعرية بطبيعتها لتفرع معرداتها
 وتنوع اشتقاقاتها القياسية على أسلوب لا يُرى له مثيل في اللغات
 الآرية ، والقوافي مزدحجة فيها ازدهاماً يسهل النظم وهي - بخلاف
 ما يزعم بعض الاعاجم - جزلة التركيب بحكمة الانسجام ، وفيها
 من طرق الحدف والتقدم والتأخير ما يوسع معه المجال لصوغ
 العبارات على قوالب شتى » .

« ولقد بدا لي أثناء التعريب من ثروة العربية في الالفاظ الوضعية
 القديمة ما اعاني عن الانحراف بمعنى على ما اضطر اليه بعض علماء
 الافرنج على ما تقدم في الفصل السابق ، ورأيت من التماثلة بين اللغتين
 في دقة الوصف ما يدهش السطر والنثر ، وينبئك ذلك ان العرب
 لم يعمموا وضع شيء من الالفاظ الدالة على جميع مطالعاهم وبحسوساتهم
 حتى اصبحت مفردات اللغة في زمانهم رابية على حاجة التعبير » .

٤

ثم اذا صح ما يزعمه ابناء المذهب الوهمي ، فمن ان الملاحم
 اليهودية كانت في الاصل قصائد ومناشير متفرقة عن الآلهة والابلان
 والحروب ، ثم جمعت والفت ملاحم ، او صح دعمهم من هوميروس
 ليس بشخصية تاريخية وانما هو شخصية خرافية قد اُجمع باسمه هذا
 النوع من الشعر كما قد جمع السوادد باسم جحا ، وان الياذة

واوديسينته هما معظم شعر جاهلية اليونان صَح لَمَّا ان تَزعم —
مع كل هذه الاعتبارات — بأنه كان في الشعر الجاهلي من تصوير
الوفائع الحربية والمفاخر القبلية والحياة الاقليلية ما لو حفظ وجمع
واحكم ترتيبه على هذا النمط اليوناني لَزاد على الايامدة والاولديسة
والشاه نامة وغيرها من الملاحم القديمة والحديثة ومثل حياة العرب
الاقليلية والقبيلة والعردية اكثر مما غثله هذه الملاحم من حياة
الامم التي نشأت فيها .

فانه اذا رجعنا الى التاريخ والمؤرخين وجدنا الرأي العام منهم
يجمع على ان العرب في جاهليتهم « كانوا اذا نبغ في القبيلة من
قبائلهم شاعر اُقيمت له الولائم والافراح انتهازاً وتباشيراً بديوعه ،
وأنت القبائل الاخرى بجمالة مهذبة ، كل ذلك اعتقاداً بأنه حماية
لاعراضهم ، ودب عن احسانهم ، وتخليد لآثارهم ، وإشادة
بتاريخهم » .

وعلى هذا ولو فرض انه كان لكل قبيلة شاعر في كل جيل —
لا اكثر ولا اقل — يدب عنها ويشيد بدعكرها ويخمد أيامها —
ومواقفها لوجب ان يكون لكل قبيلة من قبائلهم او لكل جيل
من اجيالهم الياذة كاليادة هوميروس تصور وفائهم الحربية وتسجل
معاشرهم القبلية وتقتس أخبارهم وساطيرهم ، واذا لم يصلنا من
ذلك ما يؤكد هذا الرعم ويوضحه ، فما لا شك فيه « ان ما
وصل الينا من الشعر الجاهلي انما هو فطرة من بحر الأهمال التدوين

عند العرب الى مدة متأخرة عن أيام الهجة الجاهلية في الشعر وموت أكثر الرواة بالحروب والاحداث الاسلامية بدون ان يبقوا ما لديهم من محفوظات الى من تلامه ثم اخلاف من بقي منهم في الانجاء والمرض ، ثم تحكم الولاة والحكام بأهوائهم وعمل كل مستبد منهم على طمس ما يخالف سياسته او عقائده او نزاعاته العصبية من الشعر ، اضع الى ذلك ان احماسة للتعايم الاسلامية كانت تدفع بالمتحرجين من الرواة الى ان يهلوا من الشعر ما شاعت فيه التقاليد الجاهلية والعقائد الوثنية المافضة لروح الاسلام وفواعده ، ذلك وامثاله بما يؤيد قول عمرو بن العلاء « ما انتهى اليكم بما قالت العرب الا أقوه ولو جاءكم وافرأ لحاكم عم وشعر كثير » ثم مع ذلك ومع انه لم يدون للعرب في جاهليتهم تاريخ صريح بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة رى « ان ما بقي لنا من أعارهم وآدابهم وعمومهم واحلافهم وتقاليدهم ، اما هو قبسة من أعارهم أثبتنا النقل ووضعها الاستبصار ، ولذا قالوا : الشعر ديوان العرب . فمن شعرهم استخرج الناس أحوال أيامهم وحروبهم ومنه ألف السجستاني كتاب (المعرر) ومنه استخرجوا أحوال الشعراء المتقدمين والفوا الكتب كان قسبة وغيره ، ومن شعرهم استخرجوا وصف البلاد والحال والاولدية والاولهاد ، ومنه الفوا ما الفوه في الحيوان والنبات ككتاب الحيوان للجاحظ والنبات لابن حنيفة الديوري ومن أعارهم استطاعوا صور أدبانهم في أيام جاهليتهم ، ومن على ذلك ما عرفوه من عاداتهم وآدابهم

في الضيافة والفروسية والاعراس والناثم وغيرها »
كل هذا بما يدلنا على ان الشعر الجاهلي - على قوة ما استقر
منه بين أيدينا - قد عبر عن حياتهم اصدق تعبير وادى من
الاغراض المتنوعة ما لا يقدر على ادائه الملاحم في الامم التي تسمى
لها ان تحفظ تراثها الادبي وتكون منه ملاحم وفصص على
الشكل المعروف في الاليادة والشهامة

٥

ثم لو تاملنا عن هذا كله وسلمنا بأن ملكات العرب التي
نصبت فيما بعد اكثر العلوم الاسلامية والاصول الدينية والاحلاقية
والادبية شعراً كانت قاصرة عن نظم الملاحم والقصص مما ادي
كان يعرفهم بعد الاسلام وعند نهدي سلطانهم وحضارتهم ان
يرشعوا هذا العمل فردا او جماعة من وابغ الآريين استعربين
كما قد رشعوا امثالهم من العلماء ولادباء لدايف والترجمة من
الكتب اليه بانية والعارمية والهندية ، واثبت هذا النوع من الادب
القائم على الاساطير والحراوات كان ملائماً لمراجهم ودوقهم الفسي
او موافقاً لتطورهم ونضوجهم العقلي ، او كان له هذه الاهمية في
نظرم او هذه العنالية المزورة التي دفعتهم الى التآليف في شتى
القبوت والى نقل المفسرة والعلوم والآداب الاجتماعية والاحلاقية
عن كل لغة

على اني ازمع ولعلي اجزم ان العرب بعد الاسلام وفي أوج

نهضتهم ومدنيّتهم ونضوجهم الفكري انما صرفهم عن نظم القصص
 والملاحم وواقفهم عن إعطاء هذا النوع من الادب حقه ، هو
 نظرهم الى الحياة نظرة إنسانية سامية حقرت في عيونهم الفوارق
 الجنسية والنفقات الاقليمية وحملهم - بسورتها الروحية - على ان
 يضعوا بتلك الفوارق في سبيل توحيد الامم وترويض جوامعها
 على احترام التعاليم السامية والمبادئ الرفيعة التي تنظم القبائل
 والشعوب وتربطها بروابط من الحب والعطف والايمان بأنه (لا فضل
 لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي الا بالتقوى ، وان
 أكرمكم عند الله اتقاكم ، واما المؤمنون اخوة) لا انهم توقعوا
 عن نظم الملاحم والقصص تودعاً وخوفاً من التأثير بها دجها اليونانية
 والرومانية وبما يشيع فيها وفي اساطير العارفين من عقائد وتقاليد
 وثنية ، فان ايمان العرب يوم ذلك تعاليمهم ومبادئهم الجديدة
 كان اسمي واقوى من ان يخافوا عليه مثل هذه الاساطير والخرافات
 وكذلك أزعجهم انهم لم يحجموا عن ترجمة القصص اليونانية اعتقاراً
 بما أوحته لهم طبيعة البيئة والحياة من آداب رفيعة وأساليب بارعة
 وصورحية ، وامثال حكيمة ، وأقاصيص طريفة ، فان هذا
 الاغترار لو صح حدوته ونأثيره لتعهم من ترجمة الآداب العارسية
 والحكمة الهندية بما لا يم ادواقهم وارضى مطامعهم وحاجتهم الى
 الحياة الفكرية والفنية ، ولكن نزعهم تلك هي التي فصرت
 جهودهم في النقل والاشاء على كل ما كان عالمياً في روحه واساسياً
 في حقيقته وأعراضه كالطبعة والعلوم والآداب الخاصة من شوائب

النعرات الحسية والفوارق الاقلية ، وطفرت بهم عن مساهمة
 العواطف القومية المنطرفة ومزاولة القصص والملاحم في إيدان نهضتهم
 وقوتهم واستعدادهم لمزاولة كل نوع من انواع الحياة الفكرية
 والادبية ، ولما في رسالة الاسان والحيوان في محكمة الجن ،
 وقصة حي بن يقطان وما فيها من سام في النزعة والقرض ، ما
 يبرر صحة هذا الزعم ويسدده .

٦

على انه لو رجعتنا لتاريخ الملاحم والقصص القومية وتأملنا في
 البواعث المدعة على تأليفها وإشائها وخاصة في العصور الوسطى ،
 لرأينا جلها او كلها كان ؟ يتركز على الخوف والنفقة من مزاحمة
 اديات والآداب والسلطات الأجنبية لغة البلاد ولسلطان الأمة
 واستقلالها السياسي والادبي كما هو واقع الحال في الامة الفارسية
 يوم همت بتأليف الشاهنامة وعملت على إشائها ، فان جل همها من
 ذلك اما كان يتجه لاحياء النعرة القومية وجمع أهواء الشعب على
 ما يقصوه من أنجاد أمتهم ويصورونه من معجزات أبطالهم ويلونونه
 من حوادث ايامهم ووفائهم ، بما يلهب حماسهم ويوحد شملهم
 ويضاعف جهودهم في صد نفوذ العرب ذاك النفوذ الذي قضى على
 استقلالهم السياسي كما كان يتجه همهم أيضاً لمقاومة اللغة العربية
 وآدابها التي طغت على نفوس الفرس وطبعهم بطابعها حتي أصبحوا
 صدى لها يقدونها ويعبرون بها عن افكارهم وعواطفهم .

ولأينا ان العرب في جاهليتهم وفي إسلامهم كانوا بعيدين عن مثل هذه البواعث والعوامل المؤثرة ، أما في الجاهلية فللاعتبارات التي فصلناها ثم لانه قد كان في نظامهم الاجتماعي وتفرقهم قبائل وبطوياً واحاداً متنازعين متصارين ما يصرهم عن التفكير بقوميتهم ووطيتهم وهم على ما هم عليه من الخلل والترحال والعصية القلبية البالغة الى حد التعالي في استقلال قبائلهم بعضها عن بعض والمحافظة على حريتها واطلاقها وغود سلطانها ، وكان في ضعف عواظهم الدينية واختلاف وجهتها بين يهودية ونصرانية ، ومجوسية ، ووثنية متنوعة الاصنام والالوتان والنفوس ما يباعد بين أحيلهم وافكارهم من هذه الناحية ادليس ثمة من مبدأ شامل تجتمع عليه او من عقيدة عامة تتحد بها ، ولذا صح للنصبيين ان يعتبروا شعر الحماسة والمفاخر والمدافرة والمدح والثناء والحكم والوصف والعزل والثلث والشكوى الى معبوداتهم وأحبابهم أقرب صورة لعواظهم واصدق مرآة لحياتهم من شعر القصص واللاحم بالسة حياة غورهم من الشعوب ودائسة لعواطف سواهم من الامم التي اعتدت على هذا النوع من الشعر في تمثيل حياتها وعواظها .

وأما حالهم بعد الاسلام فلقد كانوا ليعود سلطانهم وصيغرة لغتهم وآدابهم وتعاليمهم على أمم المشرق والمغرب مطمئين كل الاطمئنان على لغتهم وآدابهم وقوميتهم في ظل القرآن وهو وليد أرضهم وسمائهم ورمز وحدتهم وقوتهم ، به آثرهم الله عن بقية الامم ، وبه مكنهم في الارض وكرم لسانهم وصان تقليدهم

واحكم تنقيعهم ونوضح مبادئهم الانسانية واغنى لغتهم وآدابهم وعقولهم من الاستغلال بطل الحرفات والأساطير التي تقوم عليها املاهم والقصص ، وتوسل بها الشعوب المستضعفة لبعث موتاهم . ولما رايتهم عندما انتقضت بعض الامم الاسلامية وعندما طغت النزعات الشعبية في بلادهم واستمرت السافة بينهم وبين غيرهم من الشعوب حتى تعمل الشك ولم يبق لتلك التعاليم الانسانية وابادىء الزيمة العامة من اثر على النفوس — يتوجهون للقصص يصورون به أحلامهم في العيش وامانيهم في الحياة ويدعون بنهاويله بعض معارفهم القومية وخصائصهم الجنسية ، فأكثرنا من التوسع في الروايات كقصص (الجمهرة) لعمر بن شمر وكقصة حرب البسوس ، وقصة بكر ونعب بنو وائل ، وقصة بني شيان مع كسرى الى ما قد أخافوه لآل ليلة وليلة من القصص المنسجعة الى ما وصموه من الاسرار وقصص الحماة والمعامرة في الحياة كقصة عترة وقصة ابي زيد ، وقصة الملك سيف وقصة الزير سالم ، وحزرة البهلوان ، الى كثير من امثالها مما يدل دلالة واضحة على استعداد العرب للقصص وعلى فهمهم ومعالجتهم لها ؛ ولكن على الوجه الذي ينبغي لهم آن ذاك او على الوجه الذي يفرسه ناموس التدرج من البداية الى النهاية لا على الوجه الذي يتطلبه تطور الفن القصصي اليوم ، فان ذلك صرب من المحال والتكليف بما يبدو طاقة الانسان .

ولهم — والعصر عصر الحطاط البعة والبيان — اغنا آثروا

الاساليب الثورية في قصصهم لان هذه الاساليب المرسلة اقرب الى طبيعة الحديث والحوار وأشد صلة بمنطق الحوادث وبجاري الحياة الشعبية من اساليب الشعر العربي وقيوده المتانة في توسمها ومراعاتها لتألف الانغام والخصائص الموسيقية . (١)

خواطر في النقد والادب



اقوى الآداب والشخصيات اقربها الى النفس واثنها على الانتقاد



المش الاعلى في كل فن ، هو مطمح الباحث المخلص وميزان
الناقد التزيه ، وعقدار البعد والقرب منه يكون الكمال والنقص في
الاثر الفني ، وتكون القوة والصعب في تأثيره على الوجدان والشعور



ان من يخلص لثمة العليا لا ينكر على النقد حرية وقاديه



لا يستطيع الناقد التزيه ان يصف الاثر الفني اذا لم يحدد
موضوعه والغاية منه وادا لم يستغرق وينكيف - وهو يدرسه -
مع نفس صاحبه ثم يستشعر العوامل والظروف التي كان لها اثرها

في توجيه ملكاته الفنية وكان لها حكمها في اخراج ذلك الاثر على
صورته لمعية ووضعها الخاص



كل فكرة وكل طريقة لا نلتزم مع واقع الحياة وطبيعة النفس
هي فكرة خاطئة مهما راعى المصمم في تأييدها والاحتفاء بها فان واقع
الحياة وطبيعة النفس المعتدلة هو انقياس الصحيح لكل فكرة
مشوهة ولكن حبال شاد وكل حبة مصطفة



ان من يخوض المصمم لا يسعه العلم ومن يختصه الذوق لا
يوانيه الفن



ما أبلغ السكوت عن معنى بلع فيه المراثون وفي دهر يمرح
فيه الثرثارون



انما يضل الادباء عن تفهم الحقيقة والواقع — في درس
الحياة والنفس والمجتمع — اعتقادهم اهم يذكرون في حين اهم
يتخللون (١)



(١) نشرت في امره سنة ١٩٣٨ - ثم فرأت ما يحور هذا المعنى ص ٢٦ من
كتاب (منتج البحث) المطبوع سنة ١٩٤٦ :

ان ما نوحيه المآرق العاطفية لا يجوز بوجه من الوجوه ان
يتحد مقياساً للحكم على طبيعة الاشخاص وعقائدهم ولا طريقاً للعالم
والمعرفة بالحقائق الثابتة .. والا نضاً عن الصواب وحال يلبس وبين
فهم الحياة والناس على ما يجب ان يفهمه ، لان المرء في حال واحدة
غيره في سائر الاحوال



ما بين تلاحى الحب والبعر نعرنى الحقائق وسطف الادواق
والعقول وتنسق الثقافة الحرة



اء، نحن لا نمسنا حين نحاسبها بما نحاسب به الاخصام ، وانما
نصف احصائنا حين نعرض لهم ما نعرضه لانفسنا عند العثرة والخطأ
من ظروف موجبة وعوامل قاهرة ، ومقاييس حاطة



انما يتناز النبل بالخصومة الشريفة والتضحية الحالصة



إن النقد النزيه اعلى يتجرى الحسن والصحيح في عرف الناس
ليعرب عن قبحه وفساده في حد ذاته ، او القبيح والفساد في عرفهم
ليبيدي حسنه وصحته في حد ذاته ، لا ما اتفق العرف والواقع على
حسنه وصحته او قبحه وفساده فان ذلك لمي عنى عن النقد

وإذا الناقد الغد من يشرح لنا علل الحسن والقبح وعوامل الصحة والفساد فيما ينتقده ويمدحه حتى يصبح الحسن قبيحاً في نظرها والقبيح حسناً لا من يقول لنا هذا حسن أو هذا قبيح ثم ينطلق مع غايته وهواه أو يقف كالمترفع عن الحواب اغتراراً بسمو مكانته ! هليس ذلك — في عرف المنصعين — الا ضرباً ممن التهويل والتهويلش الفارغ



كما ان المرء لا يستطيع ان يتذوق ما يجله ويتعد عن دهاء كذلك الاديب لا يمكن ان يتذوق ما لم يمارسه في ثقافته وشأنه من أساليب والفاظ ومعان ، وأخيلة او ان يحد بصواب حكمه لها او عليها . وادن من ظلم الاقدار ان يتحكم ادباً والمقدمون بالأساليب والالفاظ والمعاني المعربة التي لم يدرسوها في ثقافتهم ولم يألفوها في شأنهم ، او ان يتحكم المنجددون من آثار المتقدمين اذا لم يتبنوا لها ثقافتهم وبحسبوا الحساب لعوامل شأنهم وظروفهم التي كان لها اثرها في تفاوت الاتجاه والتفكير والتذوق الفني بين الطرفين .



يخجلني اثنان : شاعر يعرض عبي القطعة من الشعر ليروي رأيه بها — وانا مشترك اللب مشرد الحواس — فلا اطهر بوصيلة الى قدون الجمال في فنه وتقدير الحق في منطقته . وشاعر يستعمل جميع

قواه العلمية ليرقصي على أعدام شعره فلا أجد من نفسي غير ابتسامة
هادئة تقوم مقام دمة التوجع وزفرة المتفجع !!



آفة الادب في بلادنا تراوحه بين من يغلو في اطلاعه ودرسه
الى حد يسهبين معه بفصره ويهمل احاسه وتفكيره ، ويتعمد في
ادبه ومسطقه عن ان يستوحى البيئة والحياة والنفس وظروفه ، وبين
من يعتد بقطرته واحساسه الى حيث يستجف بالكتاب والمدرسة
وما قد توحيه الى اللبيب من طريف المعاني والصور التي لا ينسق
ليئته وطروقه مهما دفت ان تستشف عن مثلها او تسوا الى
عوالمها



لا احسب ان حلول الاشياء دليل على حاملها وصنعها في حد
دانها ، ورعا كان حدودها بسنتها الى المشهور من الآثار ، والشائع
من الحوادث والتأبه من الشخصيات والا لما حدثت تلك التوافه
من الاقوال الرائفة والنظريات الخاصة لاتصالها بسيرة الخالدين من
ابصال الحياة وعلاقتها بالشكل الدقيق من موضوعات العلوم
والفنون ، ولما ضاع كثير من الحقائق العلمية والروائع العلمية
لتفرد الحاملين بتقريرها وابتكارها

وعنى ذلك فكما يجوز ان يجد الحصيف بمصافته يجوز ان

يخرد السخيف بسخافته اذا نهياً له من شيوخ اسمه وخصائصه ما قد
نهياً للذبح الحضيف ، وما معجبان واث بأخذ اسما من (بافل)
في تاريخ الاعلام ٩٩



ليس من شأن الادب العربي بقته وروحته وغايته ان يكون سجلا
تاريخيا لتعصيل كل جرئية من جزئيات الحياة ، ليسوع لنا ان
سأل الاديب - في أدبه - عن نوع مأكله وملبسه ومسكه
او كيف شأ او كيف عاش كما يريد المتطوفون في تجوهم
وتقليدهم من ادباء اليوم

وانما الادب - في اسمى مراحلها واغراضه - مرآة صافية
لتطور شعور الاديب وتفكيره العربي عندما تتكامل ثقافته وتضج
مواهبه ، او صورة دقيقة الاشارة والنميج للظروف الاستثنائية
التي توجه مكاناته الفنية وتدفعه قسراً الى البث والتعبير عن تفيض
به النفس من شعور وعواطف بلغة موسيقية الانغام جميلة الاداء
بليغة التأثير :

الشعر لمح نكفي اشارته وليس بالهذر طوّلت خطيه

ولا يقتضيه بعد هذا ان يخالف ظروفه وعواطفه ويصطنع
التأثر بكل شيء مرّ به او التفتوه بكل ما ينتهي اليه الفكر
والشعور من موضوعات وصور واساليب في العصور المتأخرة عن
عصره وجيله

ان اللغة في كل أمة اصح مقياس وأصدق صورة لحياتها الفكرية ،
والعاطفية ، والاجتماعية من التاريخ والادب والفن ، لان التاريخ
قد تعبت به الالهواء والاعراض وتعمكم به الدكتاتوريات ولان
الادب والفن يصعب او يستحيل ان تقوم لهما قاعة على غير الخيال
والعاطفة ، وهما بطبيعتها لا يسبحان - غالباً - مع جميع شؤون
الحياة الفكرية والعسية ، ليعبرا عنها بخلاف اللغة - وهي لسان
التاجر والزارع والصانع كما هي لسان العالم والاديب ولسان
السياسي والفيلسوف والطبيب والمهندس - فانها بذلك اشبه بالمتخف
لكن طور من اطوار الحياة فيه اثر ، ولكن منحي من مناحي
المكر والعاطفة والنفس ، فيه صورة مائة في العاظم وتراكيبها



لا اقلية في الافكار الصحيحة والصور الجيدة واللغة العصى
والاسلوب الرفيع مهما تروحت الجماعات والارمنة والامكة باصحابها
وعواملها وموضوعها ، ليكون الادب الذي تكامل وامتاز بصحيح
افكاره وبديع صورته وبديع اسلوبه ولغته - ولو كان خاصاً بموضوعه
وزمانه ومكانه - غير عالمي بطبيعته ، كما كتب له الشروع والانتقال
من لغة الى لغة



وانما تشل الاقلية الادبية في هذا الذي سم بسداجة مطلقه
وخيااله براسلوبه ، ولا يرتفع بتصوير الخصائص المحلية والعرف العام
عنه مستوى الافكار الطجية والتراكيب المبتذلة واللغات اللولبية

التي تتفاوت بتفاوت الازمة والامكنة والجماعات



لكل دي بصيرة ودوق في كل مطهر من مظاهر الحما وفي كل
حالة من حالات النفس وفي كل ناحية من نواحي الحياة أمية عالية
تثير اخيلته : او عقيدة واسعة تنهب عواطفه او ضرورة حاضرة
تستدرج قلبه ولما به الى تصوير ما تحش به النفس ويضطرب الفكر
والخيال : فاذا لم يوانه الفن ويسمعه القدر في تصوير ما يصح اليه
من وحي الحرية والجمال على خير ما يرضي طموحه ومثله الاعلى ..
عد الى اروع ما قيل في مش هذه النواحي وفي مثل هذه الحالات
والمظاهر ، فاختار منه ما يمثل عاطفته برفع درجاتها او فكرته بابع
حجبها او دوقه بأسمى ما يعق به من رؤى وأحاسيس او ما
يكيف هذه العرائز والمسلكات جميعها بخير ما يمكن ان تكيف به :
ولذا كان المختار بوجه عام أدل على عقلية صاحبه ودوقه وجوته
الطبيعي — لدى الاختيار — بما قد يشه بظها ونراً ، لانه يمثل
— في العال — ما قد ضاق بتحديد من خيال او بتصويره من شعور
او بتدريه من فكر او بتثيله من جمال الطبيعة والنفس



واذا كان الادب كالكب لا يحفظ في خزانته الا الطريف
العالي من صور الحياة ، وحوادث الایام وخوالع النفوس ، ملتصقاً في

أحسن عبارة وأعذب أسلوب وأبدع خيال ، واسع منطق ، وادّرع تصوير ، مما الذي يتبعه أرباب تلكم القصص من هذه الركاكة وهذا الابتذال في الأسلوب والموضوع أو بهذه النواعه من الصور المعادة والتواهي من الأحاديث المكررة ؟! وإن في سمر القرويات من العجائز وفي حكاياتهن التي يقصونها على إبنائهن واحدهن بلغة عامية وأسلوب طبيعي خالص من شوائب الخدلفة والتضخم ، ما هو أبلغ تأثيراً على الحس وأقرب منه للنفس وبالحياة من هذا القصص الذي يتكلفه شبابنا المتفقون وينعصب له أداؤنا المنجددون ويقصرون أكثر جهودهم على اصطناعه وترويض اصوله ، ثم لا يتحفظوا منه إلا بما صف لغة واسلوباً ، واضطرب مصنفٌ وحيالاً ، وساء نتيجة ومعزى ، ثم سوتف على القارئ وقته وعلى الباحث مائدته ، وعلى الفن منفعته وعلى الادب قيمته وامتيازاه في رصانة الأسلوب وصرافة الحيال وصدق العاطفة ورائع اللفظ واللمح ، كأن الحياة لا تزال بعد في حاجة الى تعزيز ما فيها من لغو ، وفصول ، وسخافة ؟!



ثم اذا كانت العاطفة عنصراً او شرطاً من شروط الفن الصحيح والادب العالي ، فما حكم هذا القصص الذي لا يمت بلبه وموضوعه ولا بمحوادثه وابطاله الى شيء من حياة المؤلفين وملايساتهم وظروف بيئتهم كما هو الشأن في اكثر قصص الحديده ؟؟ وما عسى ان يكون محله من الادب ؟



وإذا كان الغرض من الأدب — في أقصى مراحله — أحداث
الذلة والمتعة النفسية ، ألا يكون هذا النوع من القصص الذي نعيش
به أفلام نشتتنا الأدبية ونغص به هوامش الصحف الساية بعيداً
بنتائج وآثره عن الأدب والفن الصحيح وعن حاجة الحياة والنفس
المأهفة في دوقها وتفكيرها واختيارها ؟



ما أكثر المتقين والأدباء الذين يحسنون الحدث عما يدرسه من
الطريقت الغربية ، ويجيدون التمثيل لما يدرسه من الأساليب المألوفة .
وأقل من يحسنون الإنشاء والابداع في يساهم ويمثون الاستقلال
والمرونة بأفكارهم وأخيلتهم



أما الثقافة الصحيحة هي التي نعملها بفكر مستقلين مفاكرنا .
وعن محصلين لوجداننا ، وسنشط مطمئنين لاختيارنا وبرهاننا لا
نلك التي تنقل لنا الأفكار والاختلاف ونعرض علينا الطريقت والانظمة
ونتركها أمثلاً بين حيرة الشك وهم التقليد : وأما المثقف من تأمل
واصطاع من الثقافة بجميع ذلك



نحسب

ان حصة العقل وطلاقة المعاني والثقافة العالية . اد لم نغز

بضير حي يبدد خطاها نحو الخير العام — لمي احبث آفة في
جسم المجتمع وقلب الانسانية :

ان المعرفة ملاك الوحي والابداع في ريشة الفنان واداة الخل
والتضليل في منطق السامة :

ان الثروة والفصول او المنق والتسويه قوة يستطيع بها المتصلف
الجرىء ان يحتل محل العالم الموثوق والاديب الماهر ، والسياسي
امطاع من الامة المتأخرة في عقليتها وثقافتها :

من ابلغ مظاهر الصعف اصطباع القوة

ان الشهرة تنه الرأي العام الى الدقة في الملاحظة على دويها ،
وتكثر من التكايف والواجبات على مدعيها الى ان ينوء بها
العاجز ويفتضح امر الدجال :

المرور بكثير المرء في عين نفسه وبصعته في عيون الناس :

انقل شيء على المعروف ان يلم باخطائه وان يعترف بفصائل غيره

ان من لا يستطيع ان يستفيد ويستنتج من اي كتاب نظريات هامة لا يستطيع ان يستفيد او يستنتج من كل شيء درساً ، لان الاستنتاج انما يكون على حسب الثقافة ولذا تراه يختلف باختلاف الكتاب والمدرسة فان المؤرخ او المشرع — مثلاً — لا يمكنه ان يستنتج من طواهر الكون ما يمكن ان يستنتجه الشاعر او الفيلسوف وان الطبيب والعالم الطبيعي لا يسعه ان يستنتج ما يستنتجه الرياضي والمهندس ، وهكذا يدلنا تفاوت الاستنتاج بتفاوت الثقافات على ما للكتاب والمدرسة من اثر في تقويم الحياة وتوجيه الافكار .



لا نستقيم العاطفة بدون ايمان ولا يستقيم الايمان بدون عقل يوضحه ومنطق يسدده .

الشك يحمي العواطف البيلة والايمان يذكها .

انما يولد الخوف من الشك واعطني ايماناً وخذ مني اقداماً .

الاقدام مع الايمان شجاعة وبدونه جنون وبه .

الشك زناد الثورة الفكرية

غاية الشك اليقين

الشك رائد الحقيقة ومصباح الفكر وجرس اليقظة .



ان الثري المورس لشغله واغراضه بما حوله من ميزات الحياة
ومتعتها السارة ، قلما ينصرف بمكايده وشعوره الى عالم الاحلام
والامنيات او يستغز عواطفه مثل اعنى بخلاف الفقير فان عدمه
وصيقه بما حوله من حقائق البؤس يدفعه الى التوصل بالاضيق والاحلام
والاماني الترافقه ليرفه عن نفسه بما ترواح اليه من امثله عليها ،
لذلك كان سوع المثري في عالم العيون والعلوم ادل على العبقرية
من نبوغ الفقير المعدم .



اد. كان الادب ملهاة ونسليه ومتمعة على ما يقال فيجب ان
يجتس الشعر الفكاهي - هذا الذي يشف عن ابتهاج النفس ودمائها
وحدها ويمثل في حملته عبث الحياة وبشرها واطلاقها - اسمى بحلة
منه لانه يدرك امتنع للنفس واوثق صلة بالروح والخيال من هذا
الادب الذي يتكلف البكاء والكآبة ، وبصطنع الثورة والتمرد ،
او يتسلق الجمهور بالمواعظ البليدة والفلسفة المنحلة ، والدعاوى
الطويلة العريضة .

الفن للفن !

يكثر الجدل اليوم حول مفاد هذه الكلمة ولست بصدد الدفاع عن مدى صحتها وشموله وكونه في حقيقة الامر لا يختلف عن معنى قولهم (الادب للحياة) حين يراد من لفظ الحياة معناه الصحيح .
 - الشامل : وإنما حل قصدي هنا ان اوضح مرادي الخاص من هذه الجملة - الفن للفن - في بيان عظمة الادب العالمي وفي تقدم من تحديددي لوجاهة الشعراء وهو ان يكون الشعر في حد ذاته غاية لا وسيلة كما يتخذها بعض المشهودين والمتزلفين من مثاقيلنا .

ثم على فرض ان نتجاوز به هذه الحدود الى ما يذهب اليه جل قادة الفكر وارباب الفنون الجميلة : من ان يكون في الفن والشعر متع لجميع ألوان الحياة وجميع مذاهبها المختلفة بما فيها من عبث وجد ، واعتدال وشذوذ ، وحلاوة ومرارة ، ومن ان يباح للشاعر - من حيث هو شاعر - ان يصور في بياحه كل ما يحظر على باله من الخواطر الشعرية ولو انها كانت بطبيعتها نابية عن عرف

البيئة ومألوف العادات والانظمة الاجتماعية : فانما لا نديح لانفسنا امثال ذلك في الاماليب الجدية المخرصة ، ولئن اجزده فانما نخرجزه للضرورة وفي المواقف الفكاهية البريئة كهذا الذي يستشعره القارىء من هذه القصائد : الأثف العاث ! صلح ألوعك يا ريس ! بيصة رأس السنة ! ابتهاج ومداعبة ! التي اقدم بعضها للقراء مثلاً شارحاً وأتوذكراً موضعاً لحسن النية والتقص من قولنا : ألون للفن

۱۰
 ۲۰
 ۳۰
 ۴۰
 ۵۰
 ۶۰
 ۷۰
 ۸۰
 ۹۰
 ۱۰۰

اذا لم يبق له روح
في العالم يبقى في
الدار منتهى في
الحياة الدنيا في الدنيا

الرفف العابت ؟

من رسائي لاحد الاصدفاء الناهي ادى حزنهم الطبيعة «أنوف
كبيوه كانت محنة لهم في دعايم واطعمهم ، حواباً على
فصيدة مصطوفة تند عن مستوى علمه وأدبه ونوحى
الى كل وائق من رحابة صدره ودمائه خلقه بمثل هذا
الخيال العابت المتسرد على كل ما يقضي به العرف من
مرايم المجاملة والاحترام المنكلف الجاف الذي يذهب
بروق الكت الشعبة ويقصي عى مفعولها ويقف مدأ
في طريقها الملمم الذي هيأته انسابت والظروف الخاصة :



مولاي هب لي اثم أقواله والطف عا تشكر من حاله
ولا ترقب ضالعاتي وقد طامت لدى شعرك احلاميه
وطاف منه غب اشاده محلجس ثبط إلهاميه
يساب فيه من أمالي المجون ما شدة حتى مخرج القافيه

حيث توالى طلقة طلقة قاصفة هائلة خائبة
 يضطرب' الاحساس من وقعها ومن غواشي ربحها الجافية
 وتفرق الابطال من لحنها وان بدت مضحكة واهية
 قد مثلت شمرك في كنهه او هي عنه نسخة ثانية
 يأنف منها كل أنف سوى اذكن في وجهك كالراية
 تعاود الذبان اطرافه وصد عنه النفعة الذاكية
 وطوحت بالنور من حوله شعافه الشاعفة الضافية
 بحيث لا يبصر ما دون الا كما ابصر اوهاميه
 قد حال حسن الكون في ظله الى مراة كزرة بانية ..
 وكاد ان يصلح عذرا لما ارسلت من امثلة (واطيه) (١)
 أظفر الشاعر' من مثله بصورة مشرق زاهية ؟
 أم كيف تزكو آبدات الرؤى من وحي هذي الدمنة البالية ؟



أله ؟ كم عانيت' من هوله وكم دهني فيه من داهية ؟
 وكم صرفت الفكر عن وصفه للكاس والدمان والساقية ؟
 لكننا عائر' جدي قضى ان يستبد' اليوم في ثانيه
 حتى كافي منه في معزل عن هو اخواني وخلانيه
 وكيف أله وبأشباحه تكاد ان تعثر اقداميه ؟

(١) كلمة واطيه . وواطى . هكالا لامة في كلام الشيخ المخاطب مهدة القصيدة:
 فكل كلمة وكل حالة وكل روح لا تنجم مع طله وميوله كان يستقبلها بقوله

كلما حاولت أنما وقد أراد فيها الله إرهابيه

الا خزا الله من صاحب كان مدار الصربة القاضيه
وتطأ للعترة أكنامها ومهد الاسباب لهاويه
وشق للسمار في نيههم طريق عت حطر الناحيه
جار على لطفك في حكمه ولم يقدر ذاك الساميه
وجرت (الراطيه) مثلي على مثلت حتى بزّه العافيه (٢)

هه أراني اليوم في ذمه خرجت عن محكم آدابيه
أم ان دمي آبه للورا يكر فيها الشبح احلاصيه ؟
وينسيع الفن اسلوبها ويرت الفتات اكنافيه
او بقاء الحصرم في عين من نكروا نخباً لاشعاريه

ما حيلني بالهجر من وصفه وهو الذي سم افكاريه
منبهاً للجد في هوا مسخراً للعت وجدابيه
معتراً في النفي عن جنبي مروراً في اللو اسرافيه

(٢) (واطنه) وكل قول وكل شعور وكل عمل لا يتأتم مع ذوقه وشعوره
كان يستقبله بكلمة (واطنه)

لم يكن رلزل بماننا	الحسن يعيشي القيم العاليه
لم يكن اعص عيني حياً	وفد رآته عورة باديته
لم يكن شوه آدابنا	بيت هذي الصور البايه
وهو ادي ألهم مك التقى	لعت من شعر ومن قائمه
واضطرنني ان احذني حذوكم	محشاً بعش ولى هاديه
كانا (الموجس) من وجه	اقص بالمكر الفاطية (١)

(١) الهوجل احد شياطين لشعر في الاماطير العربية او الذي يوحى بالمعاني الشريرة

(١) قراءة الشعر والادب

.. ثم توضيحا لما اشرت اليه في كلمة الفن للفن : وفي رسالة الشاعر أنقل هنا بعض ما ترجمه الاستاذ زكي مجيب محمود بين ص ٣٤ - ٤٥ من كتاب (فنون الادب) المطبوع في مصر سنة ١٩٤٥ : ليستضيء المضطربون - في تحديد الاتجاهات الادبية وفي تفسير الواجب الفني - بما يقرر اساتذة الادب في جامعات الغرب :



سر الفن في قراءة الادب وامتصاصه متوقف على شيء واحد ، هو من استخراج المعاني من العاطفا ، بحيث تخرج منها كل محزونها .

(١) الشعر هنا - كلام يراد به قل كل شيء ان يكون لغائه لذة ومتاعا ، وسواء مد ذلك اكان هذا الكلام نثرا كما ترى في القصص والمقالات واربوايت المسرحية ام كان الكلام نثرا كما ترى في القصائد المصاينة وشعر الملاحم

وقراءة القصيدة من الشعر ليست عمية نقدية عقلية ، فلك ان تعمل فيها عقلك ونقدك على ان يكون لذلك المحل الثاني . ولئن جاز لك ان تقرأ القصيدة لتقدّمها بعقلك بعد ان تقرأها لتحصي ما فيها من مشاعر ، فلا يجوز لك قطعاً ان تقرأ قصيدة ما لتحكم على آراء الشاعر بالصواب او الخطأ إن اردت القصيدة لفهم ، فليس الشاعر ميسوفاً بسيطاً وأباً بحسن الصدق - والكذب ، لكنه شاعر بحس وله كل الحق في ان يحس كما يشاء . فراءة الشعر عن فيه شيء مسن الحق والابداع ، فيه هم لما تقرأ ، فأنت لم تقرأ الشعر اذا لم تمثل ما فيه من مشاعر وتحارب ، اد القصيدة من الشعر تعبير عن (تجربة مارسها الشاعر) هي سلسلة من المشاعر والمناظر والافكار تتولد في ذهن الشاعر عن موقف بعينه ، ثم تودع في فوارير الالفاظ لتبقى ابد الدهر متعة لمن شاء ان يفتح هذه القوارير ويستخرج ما استودعته ، فسكني تقرأ القصيدة من الشعر لا بد لك ان تتناول هذه القوارير القصية واحدة بعد واحدة ، فتفرعها في شعورك وتمثل ما افزعته في دماغك ، وليس من اليسير ان نبعث الى الحياة تجربة الشاعر التي مارسها ومر حلالها وعاشها وهو يشيء قصيدته ، بل تبعد في نفسك كل ما تولاه من حالات عسية ومشاعر ، وكل ما طاف بذهنه من مناظر وخواطر ، هو لا شك بجهود عظيم ان تفعل ذلك ، لكنه مجهود لا يقوم به العقل وانما يؤدبه الخيال . فاقراً القصيدة بحيك لتتمرس بتجربتها اولاً ، ثم اقرأها بعد ذلك - إن شئت - فراءة النقد والتحصيل وقراءة النقد نوعان : نقد ادبي يسأل : الى اي حد أجاد الشاعر في قصيدته ؟ ومعنى السؤال : هل

عبّرت العاطف القصيدة عن تجربة الشاعر تعبيراً حياً مصعاً أمكن ان بعيد الصور الى ادهاننا حية مصعة كما مرت به ؟ وفي هذا النقد الادبي لا يجوز ان تبحث اصدق الشاعر في حكم العقل أم كذب ؟ ولا يجوز كذلك ان تسأل احافظ الشاعر على قوائمه الاخلاق واوضاع العرف أم خرج عليها فابعدت في صدق التحررة او كذبها ، وفي المحافظة على قواعد الاخلاق او الخروج عليها ليس من النقد الادبي في شيء ، ومن شئت بحثا كهذا فذلك هو الضرب الثاني من ضروب النقد ، فليس ما يمنع ان نعود فنقرأ القصيدة للمرة الثالثة لتحكم على ما ورد فيها — كما تحكم على ما يصادفها من تجارب الحياة — بالخطأ او الصواب ، بالفضيلة او بالرديلة ، بل لك ان تحكم عليها من أية ناحية شئت اجتماعية او سياسية او خلقية او دينية ، غير ان ذلك شيء والنقد الادبي شيء آخر ، ولا ينبغي ان نخلط بينهما كما يخلط لسوء الحظ معظم النقاد .

وليس شرط لازماً ان يصور لك الشاعر في قصيدته تجربة فيها المشاعر مامية والخواطر عابية والحياة فاصلة والآمال كبار ، بل ربما صور لك الشاعر في تجربته خواطر سفاكة للدماء ، ومشاعر شريرة خبيث يكدد للناس ويتربص بهم الدوائر . فواء لدينا نحن قراء الشعر أصورت اقصيدة ملكاً رحماً او شيطاناً رجياً ما دامت الصورة ناصعة معبرة تتيح للقارئ ان يتقص مشاعرها كأنه انقلب ساعة القراءة ذلك امسك الرحيم بعينه او هذا الشيطان الرجيم . نعم يصح لنا ان نؤثر القصيدة التي تعلو بالنفس على زميلتها التي تصور الشر

إن تساوت القصيدة في جودة التصوير ولكنها لا يبيع هذا التفضيل بحال من الاحوال لو اجادت الثابتة اكثر مما اجادت الاولى ، اد القصيدة الجيدة من الوجهة الفنية — حتى وان عاجلت موضوعاً تأباه الاحلاق — خير الف مرة من القصيدة الرديئة من الوجهة الفنية وان عاجلت الفضيلة والاحلاق الكريمة ، وانك بعد من قادة القدر الاوروبي من يزعم — وربما صدقوا — يزعمون ان الجودة الفنية في القصيدة اعظم شأناً واكثر خطراً — حتى من الناحية الحقيقية نفسها — من موضوع القصيدة افضيلة هو ام رديئة وهذا رأي اخذ به « شيلي » الشاعر الناقذ الاسكتلندي الذي توشك ألا يجد في تاريخ العذراء صفى منه عتلاً ، احد به في مدة طويلة كذا دفاعاً عن الشعر هي من اعظم ما اجادت به قريحته ، وجرت به يراعة في الدماغ عن الشعر وهو في هذه الملة الرائعة بجنح ان كافة الشرور .. وما يصيب المجتمع بها بوجع احسن انما نشأت عن سبب رئيسي واحد وليس ذلك السبب في اخلاقه ولا هو في عقول ولا في عظامنا الاقتصادية .

ان منازل الفقراء الوبيئة فئة بيننا ، لا لان الكثرة العالية من الناس يجلبون فيها ولا لان تلك الكثرة تود ان تنقى المنازل الوبيئة ساعة واحدة انما قامت تلك الممار بيننا ومنطل قاعة ، لان من لا يسكنها لا يشارك ما سكنها الشعور مشاركة وجدانية كاملة ، ممن هم خارج بيوت الفقراء القدرة الوبيئة لا « يشعرون » بنا يشعرون به من هم داخل تلك البيوت من فقراء ولذلك استحال عليهم ان

يحسوا مثل آلامهم احساساً حقيقياً ، فلأن نشارك غيرك وحداه
 مشاركتك كاملة ونشعر بشعوره شعوراً حياً قوياً ، يقتضيك لا ان
 نقف مثل موقفه فحسب بل ان نصب نفسك صَباً في إهابه لتجري
 فيك دماؤه وتسرى فيك مشاعره وآلامه ولئن استحال ذلك بالصورة
 المادية فهو ممكن بقوة الخيال ، فكما ارداد الانسان قدرة على ان
 يضع نفسه بخياله في جسد غيره ليشعر مثل شعوره كانت اقرب الى
 المشاركة الوجدانية الكاملة . واداً فاشاركت الوجدانية — التي هي
 ملاط المجتمع وبغيرها لا يكون اصلاح — تعتمد قبل كل شيء على
 قوة الخيال . ومهمة الشعر الاولى — بن والوحيدة — هي ان
 يخاطب في الانسان خياله ، الشعر لا يخاطب القوة العاقلة بل يتجه
 فيما الى الملكة التي تتقل الفكر والشعور في آن معاً — ملكة
 الخيال . الشعر يقوي فيما نذك الملكة التي نمكنا ان نصير — ولو
 مدى لحظة قصيرة — اشخاصاً غير انفسنا . وسواء أصرر بفعل الشعر
 وقوة الخيال ملائكة او شياطين فحسب ان تكون لنا
 هذه القدرة التي سقلب بها هذا الشخص او ذاك مائة
 من رمان لشعر بشعوره فألم لأله او نسر اسروره . لو أكسبك
 الشعر هذه القدرة العجيبة فقد ادى مهمته الكبرى ولا عدة بعد ذلك
 اكانت وسيدته الى هذه العاية ان يلبسك ثوب « إيجو » القتل او
 « دزدمونا » الملائكية الرفيقة . فليصمت الشعر في إهاب من شاء
 من صنوف البشر ان كانت النهاية ان تصغر بالقدرة على مشاركة
 غيرك في وجدانه . ان ما همنا من الشعر ان يكون شعراً ولا
 نزن بمجناح بعوضة موضوع الشعر الذي يعالجه ، وانما همنا الشعر

لذاته لاننا لا نرى وسيلة للاصلاح الحقيقي والاجتماعي سوى ان
يشعر الفرد بشعور غيرة ولا تتحقق تلك الوسيلة الا بقراءة الشعر
قراءة صحيحة كقراءة طه حسين لقصيدة المتنبي :

ليالي بعد الطامعين شكول طوال وليل العاشقين طويل

هاقرأ تحليلها في كتابه (مع المتنبي) ص ٢٣٦ - ٢٤٧ :
الطبعة الثانية .

ما لا بد من قوله

قياماً بواجب الاديب الموهوب الاستاذ (اسماعيل ابراهيم الحسيني)
وتقديراً لعهده وحمل صنعه .. أنوجه بحره باصدق عبار الشكر
والاحترام ، لما قد بذله من وقت في مراجعة فصول هذا الكتاب
- بكلا جزئيه الاول والثاني - ولما اظهره من عناية في قده
وتصحيح حل اخطائه الفنية والمطوية والبهرية على خير ما يفرضه
الاعتداد بلذوق السليم ، والاحلاص لواجب العلم والفن ، والاستجابة
لما فطر عليه من رفاة الحس والشعور ، ودقة الفهم والملاحظة ،
ونبل الاتجاه والغرض .

٢٤ / ٨ / ١٩٥٥ المؤلف

بمعنى الصواب والخطأ



وقع في هذا الجرح جهة من الأخطاء المطبعية لا يحسن التنبيه إليها مع الاعتماد على فهم القارئ وسليقته وإنما تنبه — اضطراراً — إلى ما قد يترتب عليه بعض الالتباس والاضطراب في تذوق العبارة وتقويم الصورة من الوجهة الفنية والمنطقية:

صواب	خطأ	صفحة
للدواع	لوداع	١٨
هو من شعر	هو من ..	١٨
المنخل العذب	المنخل .	١٨
الزيادة	الزيدان	٢٢
ضرجت	درجت	٤٦
رأيي	راي	٤٩
لأنياب	ثباب	٥٠

صفحة	خطأ	صواب
٥٣	محاولة	ومحاولة
٦١	وقفوا	وقفوا
٦١	الى هذا	الى روح هذا
٦٨	القطرة	القطرة
٨٢	فاعتز	فاعتذر
٩٤	القو	القوم معه
١٣٩	شك السهم في صدره	شك السهم صدره
١٥٤	ولي كل	وعلى كل
١٧٨	كنه	لكنه
١٧٩	هل يلبق بنا	الصواب بجذمها
١٩٢	بما ويلهمه	وبما يلهمه
٢٢٣	دون	دونه

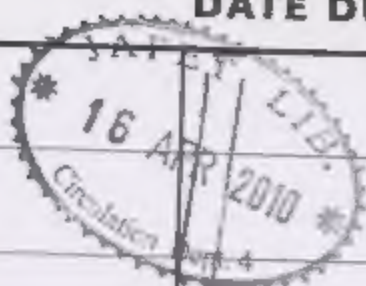
الفهرس



صفحة	
٠٠٧	التصدير
٠١١	ادبنا في القرون الخوالي
٠٢١	الادب ونطوره في جبل عامس
٠٧٩	مصادر التاريخ العاملي
١٠١	ملاحظات في الادب العاملي
١١٧	الوحدة والانسجام في الشعر العاملي
١٢٧	العواطف المصطنعة
١٣٩	العاطفة في الشعر
١٤٥	ثم العواطف المصطنعة
١٥٨	من حديث المصح
١٧٨	الشعر بين التجديد والتقليد
١٨٦	هل تتفاوت اساليب البيان بتفاوت الموضوعات والمناسبات
١٩٤	كيف يجب ان نقتصر موقف الشعر العربي من القصص والملاحم

صفحة	
٢٠٧	خواطر في النقد والادب
٢٢٠	الفن للفن !
٢٢٢	الأنف العايت
٢٢٦	قراءة الشعر
٢٣٢	ما لا بد من قوله

DATE DUE



892.74:2392sA/v 1:4.1

الزيت، على

أوراق أدبية: دراسة ونقد وتوجيه نحو

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



02041451



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

